ظهورات في فرنسا

طبعة أولى

٢٠١٣

*

منشورات المكتبة البولسية

جونيه – شارع القدّيس بولس – ص.ب: ١٢٥
هاتف: ٩١١٥٦١ – ٠٩/٩٣٣٠٥٢ – فاكس: ٠٩/٦٤٣٨٨٦
بيروت – شارع لبنان – هاتف: ٠١/٤٤٨٨٠٦ – تلفاكس: ٠١/٤٤٤٩٧٣
زحلة – شارع سيّدة النجاة – مُقابل مُطرانيّة الروم الملكيّين الكاثوليك – تلفاكس: ٠٨/٨١٢٨٠٧

سلسلة ظهورات

١٣

ظهورات في فرنسا

أديب مصلح

٢٠١٣

ΜΡ ΘΥ
Η ΑΠΟΛΥΝΤΟΣ
ΙΣ ΧΣ

ظهورات في فرنسا

- ظهورات سيّدة «پوي»
- ظهورات سيّدة الجمرات في«أرّاس» ١١٠٥
- ظهورات «سيّدة كلّ المعونات»
  في «كيرّيان» ١٦٥٢
- ظهورات «پونمان» ١٨٧١
- ظهورات العذراء «في پلّڤوزان» ١٨٧٦
- ظهورات «جزر بوشار» ١٩٤٧

بياض

ظهور سيّدة پوي (Puy)
فرنسا

«پوي» مدينةٌ فرنسيّةٌ على مسافة نحو ستّ مئة كيلومترٍ عن باريس، تضمّ نحو ثلاثين ألف نسمةٍ، وتمرّ بها، صيفًا، ألوف السيّارات المتّجهة من مختلف المدن الفرنسيّة إلى الساحل اللازورديّ، فيستقبل القادمين تمثالٌ جسيمٌ للسيّدة العذراء، يجثم على قاعدةٍ من البازلت الأسود يشرف من علوّ نحو مئة مترٍ على المدينة. هذا التمثال كان قد نُصب في ١٨٥٦/٩/١٢، تكريمًا لعقيدة الحبل بلا دنسٍ، التي كانت قد أُعلنت حديثًا، في احتفالٍ مهيبٍ، اشتركت فيه السلطات الكنسيّة والمدنيّة، وأُطلق عليه اسم «سيّدة فرنسا». أمّا المعدن البرونزيّ الذي سُكّ منه التمثال فهو نتيجة تذويب مئةٍ وثلاثة

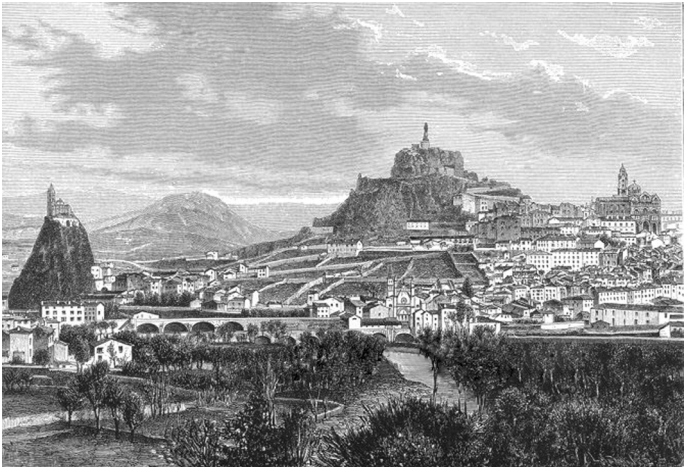

منظرُ عامٌّ لمدينة «پوي»

عشر مدفعًا روسيًّا غنمها الجيش الفرنسيّ في معركة «سيباستوپول»، وكانت هديّة نابوليون الثالث.

قاعدة التمثال ترتفع إلى سبعة أمتارٍ، أمّا التمثال ذاته فيبلغ طوله ستّة عشر مترًا. والعذراء فيه تقف، حافية القدمين، وحاملةً على ذراعيها طفلها الذي يبارك المدى أمامه، فوق نصف دائرةٍ يبلغ قطرها خمسة أمتارٍ، دائسةً على أفعى طولها سبعة عشر مترًا.

لقد غدت المدينة مزارًا مرموقًا، زاره، منذ القرن العاشر، عدّة باباوات، وفيه عُقد مجمعٌ عام ١١٣٠، أدان هرطقة آريوس. وقد أَمّه العديد من الملوك والقوّاد، التماسًا لحماية أمّ الله.

يقال إنّ العذراء ظهرت في «پوي» منذ القرن الأوّل، ثمّ في القرن الخامس، وقد أكّدت الأبحاث الحديثة صحّة الظهورات، غير أنّ ما حيك حولها من رواياتٍ، لا يمكن تأكيده.

التقليد يروي أنّ القدّيس بطرس قد أرسل إلى تلك المنطقة

منظر التمثال المطلّ على المدينة

الفرنسيّة القدّيس «مارسيال» من أجل تبشيرها. وكان بين من اعتنقوا المسيحيّة امرأةٌ تُدعى «ڤيلا»، وقد ألّمت بها حمّى مجهولة المنشأ، استعصت على العلاج، وكانت تسبّب لها آلامًا مضنيةً. وذات ليلةٍ، ظهرت لها العذراء، وأمرتها بتجميع قواها وبالشخوص إلى تلّة «أنيس»، حيث شُيّدت، لاحقًا، كاتدرائيّة «پوي»، وأوعزت إليها أن تستلقي على صخرةٍ مسطّحةٍ موجودةٍ هناك. امتثلت المرأة، وانطلقت إلى حيث أُمرت. وصلت منهَكةً، فاستلقت على البلاطة، وفي الحال، استولى عليها الكرى، وظهرت لها، في الحلم، العذراء مريم، في زيٍّ رائعٍ، يواكبها ملاكٌ، وبيّنت لها أنّ ذلك المكان هو أثيرٌ لديها، وهي راغبةٌ في أن تلقى فيه تكريمًا خاصًّا. وأكّدت لها، أيضًا، أنّها، لدى استيقاظها، ستكون قد نالت الشفاء، ومن خلال هذا الشفاء المعجز ستُثبت العذراء إيثارها لهذا المكان، وللمرأة التي تصغي إليها.

وفي الواقع، عندما استيقظت المرأة، كانت الحمّى قد غادرتها، فهرعت إلى القدّيس «مارسيال»، مرسل القدّيس

بطرس، وأطلعته على ما جرى لها. وفي الحال شخص مارسيال، يرافقه وفدٌ من معاونيه إلى تلّة «أنيس». وكان ذلك في ١١ تمّوز، والقيظ في أَشدّه. وكم كانت دهشة القادمين عارمةً عندما وجدوا قسمًا من الهضبة مغطًّى بثلجٍ حديثٍ طريٍّ! وبغتةً برز من الأحراج أيّلٌ، وبلا وَجل، رسم، بأظلافه، حدود المزار المطلوب بناؤه. وتقول روايةٌ أُخرى أنّه رسمها بقرونه وما إن فرغ من مهمّته، حتّى توارى، متوغّلاً في الغابة.

كان لهذا الحدث تأثيرٌ بالغٌ على «مارسيال» الذي سارع إلى إقامة سورٍ فوق الإشارات التي رسمها الأيّل، كي تشير إلى أبعاد المزار العتيد.

ولكنّ «مارسيال» كان رسولاً مرتحلاً، وقد اضطُرّ إلى الرحيل قبل أن يتسنّى له تحقيق مشروع المزار، وكان على هضبة «أنيس» أن تصبر أربعة قرونٍ، قبل أن تتحقّق رغبة العذراء فيها.

وكان القرن الخامس قد حلّ، وأُوكلت رعاية أبرشيّة المنطقة

تمثال «سيّدة فرنسا»

تمثال «سيّدة فرنسا» في مزار «پوي»

إلى أُسقفٍ يدعى «ڤوزاي» (VOISAY). وحينئذٍ، في دسكرةٍ قريبةٍ من «پوي»، ظهرت العذراء، محاطةً بموكبٍ مهيبٍ من الملائكة، لُمقعَدةٍ مشلولةٍ، وأوعزت إليها بالشخوص إلى هضبة «أنيس» والرقاد على البلاطة ذاتها، التي كانت قد رقدت عليها «ڤيلا» قبل أربعة قرونٍ، وشُفيت. وامتثلت المقعدة لرغبة العذراء، وحُملت إلى الهضبة، وما إن رقدت على البلاطة حتّى أغفت. فظهرت لها العذراء بكلّ مجدها، وبشّرتها بالشفاء فور استيقاظها، ملحّةً في مطالبتها بمزارٍ في ذلك المكان عينه، وهذا ما حدث، فما إن استيقظت المقعدة حتّى انطلقت تمشي.

وفي الحال، مثلت أمام الأسقف «ڤوزاي»، وروت له ما حدث، فعزم على تلبية رغبة العذراء، بلا تلكّؤ. فصام، هو وكهنته، ثلاثة أيّامٍ، قضوها في استلهام أنوار الروح القدس، قبل تسنّم الهضبة وتفقّد المكان. ثمّ شخص إلى روما التماسًا لموافقة البابا على بناء المزار، وعلى نقل مقرّ أسقفيّته إليه. وعاد بصحبة مهندسٍ رومانيٍّ يدعى «سكروتير»، وتطوّع كلّ

شعب المنطقة لبناء الكنيسة، التي نهضت، مكتملةً، بعد سبع سنين.

وحينئذٍ، قصد الأسقف «ڤوازي» والمهندس «سكروتير» الذي كان، في تلك الأثناء قد أصبح كاهنًا، ثمّ رقّي إلى رتبة أسقفٍ، بغية الحصول على الزيت المقدّس لتكريس الكنيسة، وعلى الذخائر التي ينبغي أن تودع في الهيكل، وما كادا يجتازان بضع خطواتٍ، حتّى قابلهما شيخان مجهولان، بلباسٍ أبيض، وكلٌّ منهما يحمل علبة ذخائر ذهبيةً، سلّماها إلى الأسقفين، معلنين أنّهما مبعوثان من قبل الحبر الأعظم، وأمرا الأُسقفين بالعودة حافيين إلى المدينة، حيث سيجدان الكنيسة الجديدة، وقد قام الملائكة بتكريسها. وفي الحال، اضمحلّ الشيخان كالدخان. وامتثل الأسقفان، فقفلا عائدين حافيين، ودهش الشعب لعودتهما، ولم يمضِ على سفرهما سوى وقتٍ قصيرٍ، كما عجب من مشاهدتهما حافيين، فاقتفى القوم أثرهما، وانتظم تطوافٌ إلى الكنيسة الجديدة، التي فُتحت أبوابها بغتةً، تلقائيًّا، وتلألأت فيها

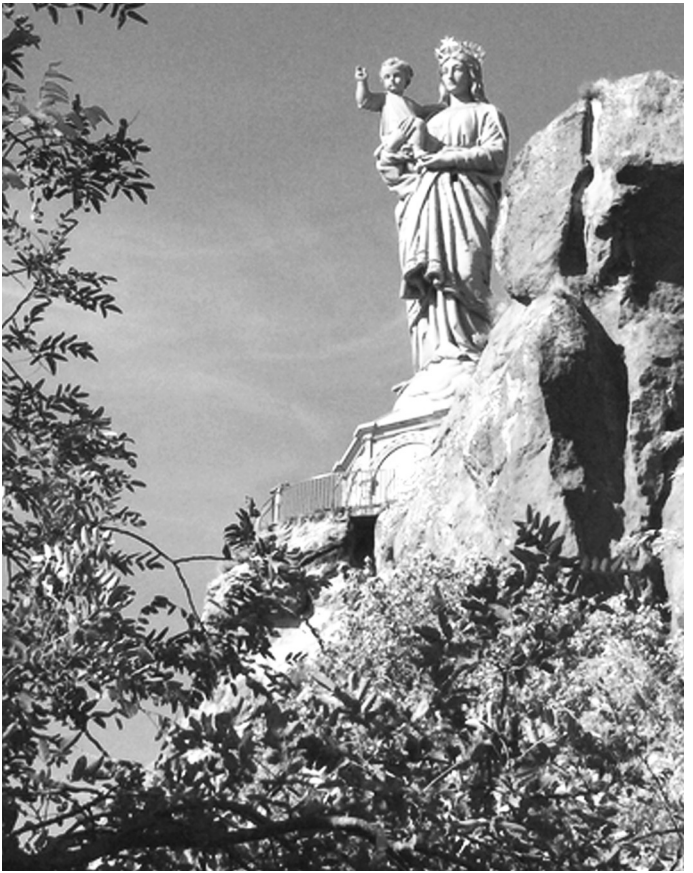

تمثال «سيّدة فرنسا» المطلّ من قمّة تلّةٍ

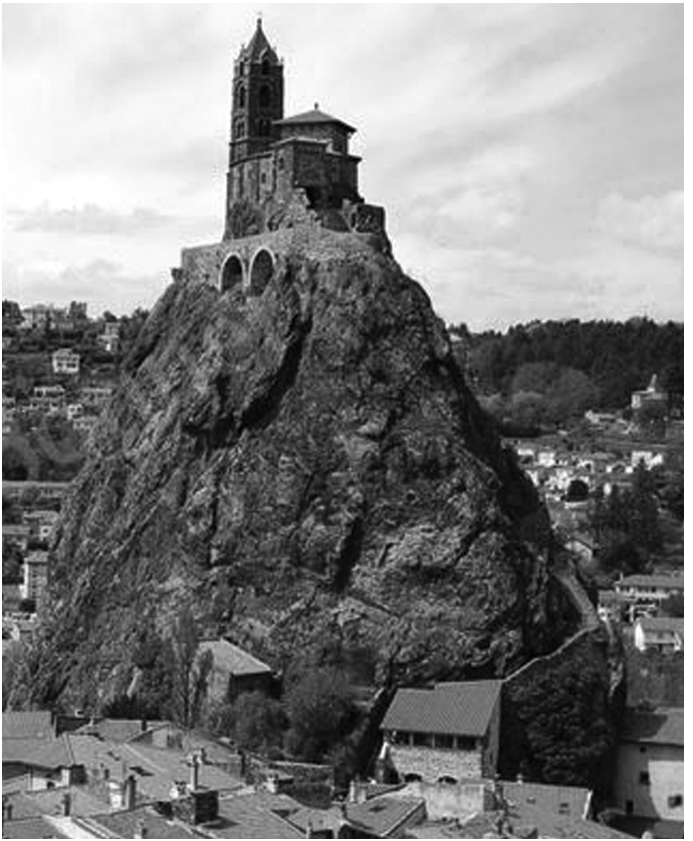

كاتدرائيّة «پوي» المبنيّة مكان الحجر المسطّح
الذي شهد أشفيةً عجيبةً

مئات الأنوار. وظهر على حجر الهيكل أثر الميرون المستخدم في التكريس.

هكذا وُلد المزار الذي طالما سمّي «لورد القرون الوسطى».

قد يقول بعضهم إنّها مجرّد أسطورةٍ، ولكنّ باحثًا عنيدًا دقيقًا عكف، منذ بضع سنواتٍ، على استقصاء حقيقة الظهورات والمزار، وانتهى إلى تأكيد ظهورات العذراء، ووجود الحجر المسطّح، الذي طالما دُعي حجر المحمومين، وقد سمح بإبقائه في حرم الكنيسة بسبب علاقته بالظهورات، مع أنّ الكنيسة، في ذلك الزمن، كانت تقاوم، بشدّةٍ، استخدام أيّ أثرٍ له صلةٌ بعهد الوثنيّة.

أمّا عن الحدود التي رسمها الأيّل على الثلج، فقد أقرّ الباحث أنّها مجرّد أساطير.

مؤرّخون عديدون يرون في حدث «پوي» الظهور الأوّل العلنيّ المعروف للسيّدة العذراء.

بياض

سيّدة الجمرات في أرّاس

(Notre Dame des ARDENTS)

(فرنسا ١١٠٥)

في وسط مدينة «أرّاس» الفرنسيّة تنهض كنيسةٌ تلفت الانتباه باسمها: «سيّدة الجمرات»، وتحتفظ، في صندوقٍ، ذخائر شمعةٍ، استُخدِمت في الشفاء من داءٍ فتّاكٍ، كان يحصد، في القرون الوسطى، آلاف الضحايا، وسط آلامٍ مريعةٍ.

«داء الجمرات» الذي كان يدعى، أيضًا «نار جهنّم»، هو آفةٌ انتشرت في القرون الوسطى وكانت توصف بطاعون نارٍ يلتهم أعضاء الجسم، وسط آلامٍ لا يضع لها حدًّا سوى

الموت. وكان المبتلون بتلك الآفة لا يكفّون يطلقون، ليل نهار، صرخاتٍ موجعةً ملتمسين رحمة اللّه..

كان المرض ينشب بأحد الأطراف، وينتشر سريعًا في الجسم إلى أن يصيب القلب، ولا يستثني شيخًا ولا طفلاً، ذكرًا ولا أنثى. وكان المصابون يطالبون باستئصال أعضائهم المعطوبة لعلّ الألم يهادنهم، وكانت الروائح المنبعثة من أعضائهم المتفسّخة لا تطاق.

وقد ألّمت تلك الآفة بسكّان مدينة «أرّاس» الفرنسيّة عام ١١٠٥. وسرعان ما أصبح فناء كنيسة السيّدة وجوارها مجمّعًا للمصابين الذين افترشوا الأرض، ملتمسين عون العذراء، لعلّها تشفيهم أو تتيح لهم الظفر بالأسرار قبل موتهم. وكان الأسقف «لامبير» (LAMBERT) وكهنته وراهباته دائبين، ليل نهار، على العناية بالمصابين، وكثيرًا ما كان يلتقط بعضهم العدوى.

ورقّ قلب أمّ الرحمة لأنين المتألّمين، فاستعانت بشاعرين قوّالين جوّالين (تروبادور) أحدهما يدعى «نورمان» والآخر

كنيسة «سيّدة الجمرات» في «أَرّاس»

برج أجراس كنيسة «أَرّاس»

«إيتييه»، وكلٌّ منهما ينشد في بلاط أحد الشرفاء، وتفرّقهما، إلى جانب الخصومة عداوةٌ مستحكمةٌ، إذ إنّ التنافس اشتدّ بينهما في إحدى جولاتهما، وتحوّل إلى مبارزةٍ انتهت بقتل «نورمان» لشقيق «إيتييه»، الذي غدا يضمر لخصمه، منذئذٍ، حقدًا قاتلاً.

ليلة ٢٢/٢١ أيّار ١١٠٥ إذ كان «نورمان» يرقد مطمئنًّا في قصر مضيفه، أيقظه، بغتةً، نورٌ ساطعٌ أضاء حجرته، وأفعم جوّها عبيرٌ عذبٌ، ودهش لرؤية امرأةٍ فائقة الجمال تجلس على سريره، مرتديةً ثوبًا أبيض يعلوه معطفٌ ذهبيٌّ، تعرّف فيها أمّ اللّه، وقد خاطبته قائلةً:

«أنت تنام مطمئنًّا فيما آخرون يقاسون أقسى الآلام. انهض وامضِ إلى «أرّاس»، حيث يئنّ المصابون بداء الجمرة. وعندما ستصل إلى هناك سأيسّر لك وسائل تبليغ نواياي إلى الأسقف «لامبير». أوعز إليه، من قِبَلي، بالسهر كلّ ليلة السبت / الأحد، وبزيارة المرضى المستلقين في الكنيسة وفي جوارها. وأخطره أنّه، عند صيحة

الديك الأولى، سأنحدر إلى الكنيسة، مرتديةً مثل ثيابي هذه، وحاملةً في يدي شمعةً سأناوله إيّاها، فليشعلها، وليسكب بضع قطراتٍ من شمعها في أوعيةٍ مليئةٍ ماءً، وليسقِ المرضى من هذا الماء وليسكب منه، أيضًا، على قروحهم. والذين سيتناولون هذا الدواء، بإيمانٍ، سينعمون بالشفاء، أمّا الذين يرفضونه فسيهلكون. ولكي تنفّذ مهمّتك استعِنْ بخصمك «إيتييه»، الذي يضمر لك ضغينةً قاتلةً. وهو سيأتي إليك، لهذه الغاية، منذ صباح السبت، فتتصالحان، وسيرافقكما الأسقف لزيارة المرضى».

وفي الحال توارت السيّدة الجميلة، فهتف نورمان: «إنّني مستعدٌّ لكلّ شيءٍ بقيادة مريم أمّ الله، فبعونها، وحمايتها، سينقلب خصمي صديقًا، وسأبشّر جميع المرضى بالشفاء».

غير أنّه توجّس خشيةً من أن يكون ضحيّة وهمٍ أو هلوسةٍ، فعزم على السهر طيلة الليالي الثلاث القادمة، لعلّه يتلقّى إشارةً من السماء تؤكّد له منشأ رؤياه السماويّ.

وفي الليلة عينها، وفي الساعة ذاتها، ظهرت العذراء في

«سيّدة الجمرات» حاملةً الشمعة التي استخدمتها للشفاء

جزءٌ من برج أجراس كنيسة «أَرّاس»

الزيّ نفسه، لخصمه الشاعر «إيتيه»، وخاطبته الخطاب عينه، ولكنّها أغفلت ذكر وجود «نورمان» معه، ليلة السبت الأحد، في أثناء زيارة المرضى، برفقة الأسقف.

وخامرت «إيتيه» الشكوك عينها التي كانت قد انتابت خصمه، إثر زيارة العذراء. فركع أمام سريره وصلّى بحرارة. ومع انبلاج النهار، قصد أقرب كنيسة، التماسًا لإشارةٍ، وكان خصمه نورمان قد قصدها للغاية عينها.

في الليلة التالية ظهرت العذراء لكليهما، وأنذرتهما بأنّهما سيصابان بداء الجمرات، إن لم يطيعاها. واقتنع نورمان، فنهج درب «أرّاس» منذ الفجر، وانتهى إليها بعد ظهر يوم الجمعة، منهكًا، فاستسلم للنوم. وكذلك فعل «إيتيه»، ولكن كان عليه اجتياز مسافةٍ أطول، فوصل بعد خصمه.

منذ استيقاظه، وافى نورمان إلى كنيسة السيّدة العذراء، ملتمسًا العون على تنفيذ المهمّة التي كُلّف بها. وقد ازداد شعورًا وقناعةً بضرورة هذه المهمّة عندما شاهد جموع المرضى المطّرحين أرضًا، وسمع تأوّهاتهم وتوسّلاتهم، فهرع إلى

الأسقف «لامبير»، الذي وجده ساجدًا في مصلاّه الخاصّ مستغرقًا في الصلاة، فركع إلى جانبه. وبعد لحظاتٍ التفت إليه الأسقف واستوضحه عن مبتغاه، فأجاب:

– «لديّ أسرارٌ أودّ البوح بها لسيادتكم». واسترسل في سرد رؤياه للعذراء. حينئذٍ استفسر الأسقف عن هويّته، ولمّا علم أنّه شاعرٌ جوّالٌ، أجابه، وكأنّه يطرده:

– «هل تبتغي خداعي؟».

هذا الجواب القاسي استمطر دموع نورمان، ودفعه إلى الانسحاب.

في هذه الأثناء كان الشاعر الآخر «إيتيه» قد قضى ليلته على بعد بضعة كيلومتراتٍ من مدينة «أرّاس»، وقد استيقظ باكرًا، ويمّم شطر المطرانيّة، التي كان «نورمان» قد غادرها قبل وقتٍ وجيزٍ. وكان المطران يحتفل بالذبيحة الإلهيّة محاطًا بكهنته، وفي نهاية القدّاس لفت انتباهه وجود الشاعر الجوّال، فاستفسر عن سبب وجوده، فسمع منه نفس التفاصيل التي كان قد أدلى بها، قبيل قليلٍ، زميله وخصمه.

فوقف منه الموقف المتحفّظ عينه، قائلاً:

– «هل هذا فخٌّ تنصبونه لي؟ من أنت؟».

وأفصح «إيتييه» عن مهنته. فاستشاط الأسقف غيظًا، مع ما عُهِد عنه من وداعةٍ، وأجاب، بنبرة ازدراءٍ:

– «هل تآمرت مع رجلٍ آخر، بلّغني، قبل لحظاتٍ، نفس حديثك؟ أنا لا أُصدّقك، وينتابني إحساسٌ بأنّكما تسعيان إلى خداعي».

ذهل إيتيه، وسأل:

– «كيف تتجاسر على اتّهامي بالتواطؤ؟».

– «منذ لحظات جاءني شاعرٌ آخر يدعى «نورمان»، وبلّغني، حرفيًّا، ما أنت بلّغتني، ولم أُصدّقه.

– «ماذا؟ أَوَتتّهمني بالتواطؤ مع «نورمان»؟ ألا فلتعلم أنّني لو قابلته، لما تردّدت في طعنه بسيفي، فهو قاتل أخي». وكانت نبرة جوابه تقطر حقدًا.

لدى سماعه ذلك، تحرّر الأسقف من شكوكه، واستقرّ

لديه اليقين بأنّ، وحدها، يدًا إلهيّةً قد شاءت استخدامه، هو الكاهن، من أجل مصالحة عدوّين، وشفاء مرضى، وأيقن أنّ ليس في الأمر أيّة خديعةٍ، وقال للشاعر «إيتييه»:

– «إن كنت تبتغي الإسهام في المهمّة التي انتدبتك لها أمّ اللّه، فلا بدّ لك من إطفاء نار الحقد المستقرّة في قلبك. ألم يُذكر في إنجيل القدّيس متّى: «إن جئت بقربانك إلى المذبح، وتذكّرت هناك أنّ لأخيك عليك شيئًا، فدع قربانك هناك، قدّام المذبح، وامضِ، أوّلاً، فصالح أخاك، وحينئذٍ، ائتِ وقرّب قربانك». وقال أيضًا: «إن لم تصفح عن أخيك، فلن أصفح، أنا أيضًا، عنك».

حينئذٍ، ارتمى «إيتييه» عند أقدام الأسقف، وقد أفعم الندم قلبه، واعدًا بمصالحة «نورمان». وبغية قرع الحديد وهو حارٌّ، أنفذ الأسقف، في الحال، أحد كهنته بحثًا عن «نورمان»، فوجده في كنيسة سيّدة «أرّاس»، ودعاه باسمه بصوتٍ عالٍ. أخذ الذهول بالشاعر، وتساءل ما عسى يبتغيه منه ذلك الكاهن، الذي أوعز إليه بالعودة، في الحال، إلى دار

الأسقفيّة. وهناك شاهد خصمه، «إيتييه»، إلى جانب الأسقف، فدنا منهما بحذرٍ، ولكنّ الأسقف طلب منهما تبادل قبلة السلام والمصالحة، فتعانقا.

ومعًا وافى الأسقف والشاعران إلى كنيسة سيّدة أرّاس، حيث كانت تدوّي تأوّهات المرضى، وتوسّلاتهم. وركع الثلاثة، وقضوا النهار كلّه والليل، يقدّمون ما يستطيعون من عونٍ وعنايةٍ للمصابين، ويلتمسون لجماعاتِ المرضى المحيقين بهم الخلاص من أوجاعهم.

وأعلنت ساعة الجرسيّة الثالثةَ فجرًا، وانطلقت صيحة الديك الأولى، وبغتة سُمعت حركةٌ آتيةٌ من سقف الكنيسة، وفي الآن عينه، غمر الكنيسةَ شذًى عذبٌ، وأشرق نورٌ، ما عتّم أن انتشر، وظهرت سيّدةٌ لم يشهد أحدٌ منهم لجمالها مثيلاً، بهيّةٌ كالقمر، ومتألّقةٌ كالشمس، انحدرت بتؤدةٍ، وبيدها شمعةٌ موقدةٌ، وخاطبت الشاعرين:

«اقتربا، يا لاعبي الأوتار. إليكما شمعةً أُوكلها إلى

حراستكما، وستكون للقرون المستقبليّة ذكرى رحمتي. على كلّ مصابٍ بما يدعى «نار جهنّم» أن يسكب بضع قطراتٍ من ذوب هذه الشمعة في ماءٍ يُسكَب على القروح، فيطفئ، في الحال، تلك النار اللعينة. من آمن سينعم بالشفاء، ومن يرفض الإيمان سيهلك».

تلفّظت السيّدة بهذه الكلمات وتوارت، بعد أن استلم الشاعران الجوّالان من يدها، بتجلّةٍ واحترامٍ، الشمعة الثمينة. وقد حاولا تسليمها للأسقف، ليقينهما بأنّه الأجدر باستخدامها، ولكنّه أبى قائلاً:

– «احتفظا بما أوكلته إليكما نعمةٌ إلهيّةٌ. وحسبي سعادةً أن أُشرِكتُ في مهمّتكما».

وتبادل الثلاثة قبلاتٍ أخويّةً. ولكي لا يهدروا الوقت. استقدموا أوعيةً مليئةً ماءً وسكبوا في كلٍّ منها بضع قطراتٍ من الشمع المذاب. وانتظم المرضى في ثلاثة صفوفٍ، وطاف بهم الأسقف، والشاعران، ساقين كلّ مصابٍ جرعةً من الماء، وساكبين شيئًا منه على قروح المصابين. وقد أنفقوا كلّ

ما تبقّى من الليل، وجزءًا كبيرًا من النهار، كي يصيب كلّ مريضٍ قسطه من الماء الشافي.

وسرعان ما تجلّت نتائج العلاج وجدواها، إذ دوّت الكنيسة والأزقّة المحيطة بها بصيحات الفرح، وصدحت الحناجر بالأناشيد الجذلى، وتردّدت عبارات الشكر للربّ المخلّص.

وسرعان ما ذاعت أنباء الشفاء المعجز في المنطقة كلّها. فطالبت جهاتٌ كثيرةٌ بقطراتٍ من الشمعة العجائبيّة كي تُطعَّم بها شموعٌ أُخرى، وأمست مدنٌ عديدةٌ تملك شمعاتها الشافية من داء الجمرات.

وشُرّف الشاعران الجوّالان بحراسة الشمعة العجائبيّة وانتقل هذا الشرف إلى ورثتهما. وما لبثت أن شُيّدت كاتدرائيّةٌ كبرى في مكان ظهور العذراء، تكريمًا لـ «سيّدة الجمرات»، وإلى جانبها شُيّد مستشفًى.

وسحابة قرونٍ، ظلّ أهالي تلك المنطقة يصنعون شموعًا مطعّمةً بقطراتٍ من الشمعة العجائبيّة الأولى، وقد أثبتت هذه الشموع جدواها في شفاء مختلف الأمراض.

بياض

سيّدة كلّ المعونات في «كيرّيان»

(فرنسا) ١٦٥٢

«كيرّيان» (QUERRIEN)، قريةٌ صغيرةٌ في منطقة «بريتانيي» (BRETAGNE) الفرنسيّة، تحيط بها غابةٌ، ويرفرف عليها السكون، يتوسّطها مصلًّى يجثم على هيكله اليساريّ تمثال «سيّدة كلّ المعونات».

كان قد قدم، في القرن السادس، اثنا عشر راهبًا إيرلنديًّا، إلى تلك المنطقة بقيادة القدّيس «كولومب»، واستقرّ أحدهم، هو القدّيس «غال» (St GAL) في تلك المنطقة، التي ما زالت آثارٌ عديدةٌ تشهد على مروره بذلك الجزء من العالم. ومن هذه الآثار مصلًّى صغيرٌ أشاده، ونصب فيه تمثالاً للسيّدة العذراء نحته بيده، تعبيرًا عن تكريمه العميق لها. وتوفّي عام

٦٤٦ في مدينةٍ أُطلق عليها اسمه، واندمجت، لاحقًا، بالاتّحاد السويسريّ.

أمّا قرية «كيرّيان» فكان يقطنها نحو ثلاث مئة نسمةٍ، لم يبقَ منهم، اليوم، سوى عددٍ ضئيلٍ، ولكن يؤمّها سنويًّا، ما يناهز مئة ألف حاجّ. وكان أهل تلك القرية يسوقون حياةً ريفيّةً، محدودة الآفاق، فالعيش فيها شظفٌ، والعمل شاقّ، ونسبة وفيّات الأطفال مرتفعةٌ جدًّا، والمُلمّون بالقراءة والكتابة أقلّيّةٌ.

في ذلك الإطار الذي يذكّر بإطار الناصرة، جاءت العذراء كي تدلي برسالةٍ من البساطة بحيث قد لا تستقطب الاهتمام، ولكنّها، في جوهرها، خطيرة الشأن.

وفي تلك القرية كان يعيش زوجان مزارعان، هما «جان كورتيل» (Jean COURTEL) و«جانّ ماركير» (Jeanne MARQUER)، وقد رزقا، عام ١٦٤١، ابنةً أطلقا عليها اسم أمّها «جانّ»، ولم يلبثا أن تبيّنا أنّها صمّاء وبكماء. غير أنّ صبر أمّها وكنوز حنانها قد أيقظتها، باكرًا، على شؤون اللّه. فغدت، في سنّ التاسعة، تحسن رسم إشارة الصليب، وغدت المسبحة

منظرٌ عامٌّ لقرية «كيرّيان»

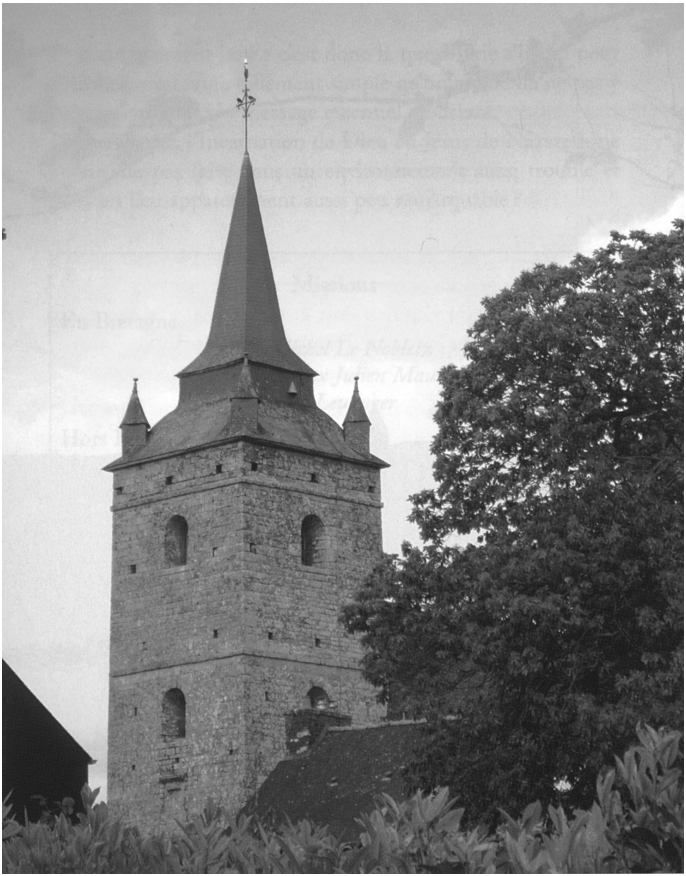

قبّة جرس مزار «سيّدة كلّ المعونات»

سلاحًا لا يفارقها. كانت معزولةً عن ضوضاء العالم، ولكنّها، في دخيلة نفسها، كانت تسبح في عالَمٍ ساحرٍ رحبٍ.

وفي تلك السنّ المبكّرة، أوكل إليها والداها رعاية قطيعهما الصغير. وبما أنّ الخامس عشر من آب، من كلّ عام، كان موعد احتفالٍ شعبيٍّ حاشدٍ في تلك المنطقة، فقد قصدت الأسرة في ١٦٥٢/٨/١٥، قريةً مجاورةً للاشتراك بهذا الاحتفال. ولدى عودتهم، دعوا الأقارب والمعارف إلى مأدبةٍ. ولكي لا يُحرَم القطيع من طعامه، ذلك اليوم، كلّفوا الفتاة، جانّ، التي كانت قد بلغت الثانية عشرة من عمرها، باقتياده إلى مرعًى يبعد نحو مئتين وخمسين مترًا عن المنزل.

في نحو الساعة السادسة مساءً، شرعت «جانّ» تتلو مسبحتها، وبغتةً هبّت ريحٌ شديدةٌ، فنهضت الفتاة واقفةً، ورأت، وسط غمامةٍ مضيئةٍ، سيّدةً رائعة الجمال، مبتسمةً، تعلو الأرض قليلاً، تحيق بها هالةٌ نيّرةٌ، «ترتدي ثوبًا من الساتان الأبيض»، ابتسمت لها وقالت: «**أيّتها الراعية الفاتنة، أعطيني واحدًا من خرافك البيض**».

للمرّة الأولى، منذ مولدها، سمعت الفتاة كلامًا وأدركته، وانطلق لسانها من عقاله، فأجابت، بلا عائق: «ليست هذه الخراف لي، بل لوالدي، فإن هو ارتضى أنً يهديك إيّاه، سأفعل ذلك بطيبة خاطر».

فشكرتها العذراء، وقالت: «إذن امضي فاطلبي لي من أبيك، خروفًا». وتحفّظت الفتاة قائلةً: «ولكن من سيتولّى رعاية القطيع؟»، فأجابتها السيّدة:

– «**سأتولّى هذا الأمر بنفسي. ولكن أسرعي في أداء المهمّة**».

حثّت الفتاة الخطى إلى المنزل، مجتازةً دربًا مصعّدًا شاقًّا، فوصلت لاهثةً، وأمام جميع الحاضرين بلّغت ما حدث لها، باعثةً، لدى جميع الحاضرين، الدهشة والذهول. فللمرّة الأولى، كانت تتكلّم، وتسمع. وأجاب والدها، الذي هزّه شفاء ابنته المعجز:

– «إنّ تلك التي شفتك تستأهل لا خروفًا، بل القطيع كلّه».

وسرعان ما ذاع في القرية نبأ شفاء «جانّ» العجيب. وتوالت ظهورات العذراء للراعية في الأيّام التالية وحتّى مطلع شهر أيلول، في مراعٍ مختلفةٍ، حيثما كانت «جانّ» تسوق قطيعها، ولكأنّ العذراء كانت تلاحقها كي تجعل منها رسولتها ووسيطتها إلى أهل القرية ومسؤوليها الكنسيّين. حتّى بلغ عدد الظهورات خمسة عشر. وغداة الظهور الأوّل أفصحت العذراء عن هويّتها:

– «**أنا العذراء مريم. وقد اخترت هذا المكان كي أُكرَّم فيه، وأريد أن يُشاد لي مزارٌ وسط القرية**».

في مساء ذلك اليوم عينه، تألّف وفدٌ ضمّ الفتاة وذويها وبعض جيرانهم، وقصدوا مدينة «پرينيسّاي» (PRENESSAYE)، وبلّغوا بالأمر كاهن الرعيّة الأب أوليفيه أودران (Olivier AUDRAIN) الذي كان يحمل إجازةً في الحقوق الكنسيّة، والذي، رغم تثبّته من شفاء الفتاة المعجز، ارتبك واعتصم، بادئ الأمر، بالحيطة والحذر. ولكنّه أوفد، في اليوم التالي، مندوبَيْن يثق بهما للتحقّق، وما لبث، هو

نـفســه، أن بـلّـغ رئـيســه، المطـران «ديـنـيس دي لابـارد» (Denis de la BARDE) أسقف «سان بريوك».

وفي ظهورٍ لاحقٍ أحاطت الفتاةُ العذراء علمًا بموقف كاهن الـرعـيّـة المتـحـفّـظ، والمتّـسـم بالـريبة، وبادرت العـذراء إلى تزويدها بدليل المصداقيّة، قائلة:

«إثباتًا لكون الرسالة التي أُكلّفك بها آتيةً من السماء، ستكتشفون، على مقربةٍ من نبع «سان غال»، وفي المكان المدعوّ «البِركة» صورةً لي كانت، قديمًا، مكرّمةً في هذا البلد. في هذا المكان عينه ستشاد لي كنيسةٌ. امضي واجعليهم يحفرون، في ذلك المكان الذي حدّدته».

وقد تحقّق ما أشارت إليه العذراء بحذافيره، إذ انتشل عمّالٌ، من الوحل، تمثالاً صغيرًا للعذراء.

هذا الاكتشاف، مضافًا إلى شفاء «جانّ» من عاهتها الولاديّة، كان تصديقًا ساطعًا لصدق الظهورات، وكان للحدَثَيْن أصداءٌ مدوّيةٌ في المنطقة كلّها، فانتظمت مواكب

الحجّ التي ما انفكّت، حتّى اليوم، تتقاطر إلى المكان الذي باركته ملكة السماء.

وسارع أهل القرية إلى بناء كوخٍ من ألواح خشبٍ وأغصان أشجارٍ، من أجل إيواء التمثال.

وعادت الفتاة إلى كاهن الرعيّة كي تطلعه على ما استجدّ من أحداثٍ، وتؤكّد طلب العذراء بناء مصلًّى لها وسط القرية، في مكان اكتشاف تمثالها. واكتفى الكاهن بالإصغاء، مردّدًا واجب تقيّده بأوامر رؤسائه.

ولكنّ العذراء كانت أشدّ إصرارًا، إذ ظهرت لها، بُعَيْد ذلك، وقالت لها: «**بما أنّ خادم الرعيّة، يأبى الاضطلاع بالمهمّة بنفسه، اقصدي أسقف الأبرشيّة، وهو سيتولّى تنفيذ المهمّة التي أُكلّفك بها، وسيقوم بما يلزم**».

ومثلت الفتاة، بصحبة رجلَيْن من القرية، بين يدي الأسقف الذي استقبلها، برحابة صدرٍ، ولكنّه التزم، هو أيضًا، بالحيطة والحذر. غير أنّه استوضحها واستجوب مرافقيها. وعاد الوفد إلى القرية، جاهلاً موقف الأسقف ممّا

سمع. وفي الحال، سارع الأسقف إلى دعوة مستشاريه، وبنتيجة المداولات، تقرّرت مواصلة التمحيص والتحقيق. غير أنّ الأسقف الذي كان قد تأثّر بصدق الفتاة «جانّ»، وبنزاهة مرافقيها والشهود، وبناءً على اقتراح كاهن الرعيّة ومستشاريه، قرّر الشروع، فورًا، بإجراء تحقيقٍ قانونيٍّ نظاميٍّ، وكلّف كاهنين بالاستعجال في تدوين كلّ ما جرى في قرية «كيرّيان» وضواحيها، منذ الخامس عشر من آب. وفي هذه الأثناء، أسهم ظهورٌ جديدٌ، مطلع أيلول، في تسريب مزيدٍ من المصداقيّة على الحدث. وما إن تلقّى الأسقف نتائج التحقيق حتّى شخص إلى قرية «كيرّيان»، بغيةَ اتّخاذ الخطوات اللازمة، بعد أن أعلن عن هذه الزيارة، وطلب من جميع الشهود الحضور يوم الأربعاء، ١١ أيلول، كي يؤكّدوا شهاداتهم بقسَمٍ.

وفي اليوم المحدّد، زار الأسقف الموقع الذي اكتُشف فيه تمثال العذراء، وتخشّع أمام ذلك التمثال، جاهدًا في إخفاء تأثّره. ثمّ، أمام حشدٍ من معاونيه ومن أعيان القرية، استجوب الفتاة «جانّ»، وذويها، وكلّ الشهود الذي عاينوا

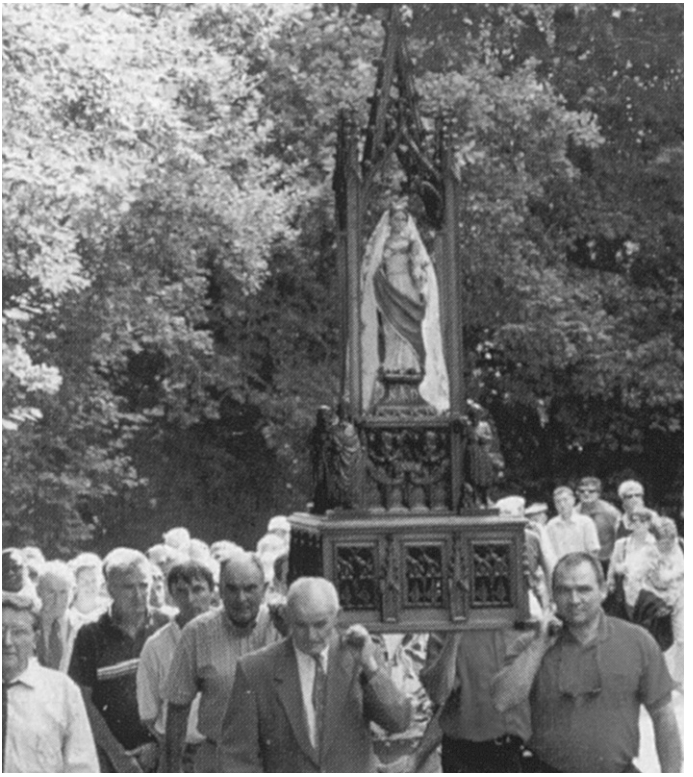

تطوافٌ بتمثال «سيّدة كلّ المعونات» في «كيرّيان»

نبع «سان غالّ» في «كيرّيان»

الحدث عن كثَبٍ، وجميع الذي نالوا أشفيةً ونعمًا، بهذه المناسبة.

وقد شفع جميع الشهود إفاداتهم السابقة بالقسم.

أُعجب الأسقف بما شاهد وبما سمع، وتيقّن من صدق كلّ ما أدلت به «جانّ»، وبطابع الحدث فائق الطبيعة، وأعلن قراره بناء المصلّى الذي طالبت به العذراء.

وبعد أن تخشّع أمام تمثال العذراء، المُكتَشَف بفضل إيحاءات العذراء، وفي المرعى الذي ظهرت فيه ملكة السماء للراعية الخرساء والصمّاء، وشفتها من عاهتها، أوصى بتدوين كلّ النعم التي ستجود بها أمّ الله على أبنائها، وأمر بوضع حجر الأساس للمصلّى العتيد، بجوار نبع القدّيس «غال». وقد تمّ وضعه في ٢٩ أيلول ١٦٥٢ بحضور ألفٍ وستّ مئة حاجٍّ، وفي الآن عينه، بارك كاهن الرعيّة المصلّى المؤقّت وأقام فيه القدّاس الأوّل.

بعد أربع سنوات، أي في عام ١٦٥٦ كان قد أُنجز القسم الأكبر من المصلّى، وتدفّقت مواكب الحجّاج التي تنبّأت بها

السيّدة العذراء، وكلّف الأسقف أربعة كهنةٍ باستقبالهم وبمهامّ سماع اعترافاتهم، وبالتعليم الدينيّ. ومنذئذٍ، ما انفكّ تدفّقهم مستمرًّا. وقد جاء في سجلاّت الرعيّة:

«تدفّقت وفود الشعوب الملهمة من الله، يوميًّا، إلى ذلك المكان المجاور لنبع القدّيس «غال»، من أجل تقديم الصلوات، والنذور للسيّدة العذراء القدّيسة.... وكان لا بدّ من تشييد ملجأٍ للحجّاج».

وقد خلّد ذكرى الحدث قصيدٌ ما زال ينشده حتّى اليوم رعاة تلك المنطقة يقول:

كانت ابنة ثماني سنواتٍ، خرساء منذ مولدها.

وكانت تتمتّع بالفهم والذاكرة المنيعة،

وكانت الصلوات الورعة مقيمةً دائمًا في قلبها.

في الخامس عشر من شهر آب، إذ كانت تلك الفتاة راكعةً،

التفتت بغتةً، فرأت آنسةً متّشحةً بالساتان الأبيض،

عذبة المنظر ورائعة الجمال،
قالت لها مبتسمةً: «أيّتها الراعية الفاتنة، في حقلك،
اسمعي وصيّتي، واعطيني، أرجوك،
أجمل خروفٍ من خرافك البيض.
وأجابتها، باحترامٍ، الفتاة، التي لم تكن قد تلفّظت، قطّ، بكلمةٍ:
ليست هذه الخراف لي، بل هي لوالدي،
وإن هو ارتضى أن يهديك أحدها سأفعل ذلك بطيبة خاطر».
– «ارجعي، إذن، إلى البيت، وبلّغي طلبي
إلى أبيك الطيّب المحبّ، وإلى أمّك أيضًا.
اطلبي منهما لي خروفًا، وعودي بلا تلكّؤٍ.
وعندما ولجت الفتاة البيت، أذهلت الجميع،
فقد كانت تتكلّم أمامهم، مثل خطيبٍ،
فهتف كلٌّ منهم: «ما أعظم الله، يا لها من معجزةٍ!».

– عندما كنت أسهر في حقلنا على رعاية خرافي البيضاء،
ظهرت لي، يا والدي، سيّدةٌ فائقة الجمال،
وطلبت منّي خروفًا، أجمل خراف القطيع.
– «نحن لن نعطيها خروفًا، بل سنعطيها القطيع كلّه»،
أجاب الوالد في الحال. «هبّوا لنرى هذه السيّدة،
يا ابنتي عودي إلى خرافك، وأنت تصلّين».
هذه الصورة حملوها إلى بيوتهم باحترامٍ
وأمامها يصلّون بخشوعٍ، صباح مساء،
داعين يسوع الطيّب، وأمّه الجليلة.

مصير «جانّ كورتيل»

على قبرها دُوّن: «جانّ كورتيل» رائية مريم العذراء ونجيّتها.
ولدت في ١٢ نيسان ١٦٤١، وعُمِّدت في ذلك النهار عينه».

خلافًا لسائر الأولاد لم تتلقّ التعليم الدينيّ لا بالسمع ولا

بالقراءة، ولكنّها انغمست في ما أدركته من حولها، وما عاشته بين ذويها. لم تنل ثقافةً، بل استيقظت، بعمقٍ، على شؤون الدين، وعلى عالم الإيمان حيث يوجد كائنٌ فائق العطف يحثّنا، وينتظر حبّنا.

إثر شفائها من عاهتها، تلقّت تربيةً دينيّةً وفق الأصول، واحتفلت بمناولتها الأولى عام ١٦٥٣، ونالت سرّ التثبيت، عام ١٦٥٤. وتُظهر سجلاّت الرعيّة أنّها طُلبت لتكون عرّابة عمادة العديد من الأولاد.

في نحو سنّ العشرين أمست قادرةً على الكتابة. وكان القوم يعدّون شرفًا لهم تكليفها بأن تكون «الموقّرة جانّ كورتيل» أو «الفتاة الشريفة جانّ كورتيل» عرّابة أطفالهم، أو شاهدة أعراسهم، أو شريكة أتراحهم.

في الأوّل من شباط ١٦٦٥ توفّي والد جانّ التي كانت قد فقدت، أيضًا، في هذه الأثناء، العديد من عمّاتها وخالاتها، وعاشت أمّها معها حتّى وفاتها في غروب عام ١٦٨١.

في ٢٥ شباط ١٦٧٥ تزوّجت جانّ من عاملٍ في مصنع للحديد، يُدعى «داميان سويّي» وقد رزقا خمسة أبناء، توفّي ثلاثةٌ منهم في أشهرهم أو سنواتهم الأولى. وعاشت ابنتان لهما.

توفّيت جانّ في ١٧٠٣/١٠/٨، ودفنت في مصلّى قرية «كيرّيان» وقد رُسمت صورتهما على زجاج نافذة كنيسة «پرنيسّاي»، تنفيذاً لنذرٍ قدّمه أهالي المنطقة «لسيّدة كلّ المعونات»، التي نجّتهم من مخاطر الحرب.

مصلّى «كيرّيان»

سرعان ما استعيض عن الكوخ المؤقّت الذي أودع فيه تمثال العذراء المكتشف على مقربةٍ من النبع المقدّس بمصلًّى أرحب مساحةً، وأجمل نسقًا، وسُقف بخشبٍ وبحجارةٍ خضراء. فمنذ غداة الحادي عشر من أيلول ١٦٥٢، واعتراف الأسقف بطابع الظاهرة فائق الطبيعة، باشرت العمل ورشةٌ واسعةٌ. وقد قدّم أهالي المنطقة كلّ ما استطاعوا إليه سبيلاً من عونٍ عينيٍّ

تمثال «سيّدة كلّ المعونات» في «كيرّيان»

تمثال «سيّدة كلّ المعونات» في «كيرّيان»

ونقديٍّ. وبين عامي ١٦٥٣ و١٦٥٤ وُضعت حواجز حديديّةٌ على النوافذ الزجاجيّة، إذ كانت أعمال البناء قد حقّقت تقدّمًا واضحًا. وفي شهر آب من عام ١٦٥٧، برز المصلّى، الذي سمّي «كنيسة كيرّيان»، بكلّ رونقه، على شكل صليب، منتصبًا بشموخ، وسط القرية، تنفيذًا لطلب العذراء.

ومع أنّ المصلّى، بصفته كنيسة قريةٍ، بدا رحبًا، غير أنّه ما لبث أن أمسى عاجزًا عن استيعاب حشود الحجّاج، ولا سيّما في المناسبات الرئيسة، وكان لا بدّ من توسيعه الذي انتهى عام ١٧٩٢.

في أثناء الثورة الفرنسيّة أُغلق المصلّى، ولكنّه لم يُصَب بأذًى أو تلفٍ، وأُعيد فتحه وتأهيله عام ١٨٠١، واستمرّ العمل بترميمه سحابة القرن التاسع عشر.

عام ١٩٥٠ تمّ تتويج تمثال «سيّدة كلّ المعونات» بحضور زهاء عشرين ألف حاجٍّ. وفي نهاية القرن العشرين خطّط أُسقف الرعيّة حينذاك، لإجراء أعمالٍ هامّةٍ، منها إشادة قاعتين: واحدةٍ باسم «جانّ كورتيل» تتّسع لألف مشاهدٍ

جلوسًا، وأُخرى باسم البابا يوحنّا بولس الثاني تُستخدم للاحتفالات الكبرى. وقد شجّع البابا الراحل الأسقف على المضيّ في تنفيذ المشروع.

وفي عام ٢٠٠٥ أُعلنت تلك الكنيسة «مزارًا مريميًّا رعويًّا».

الحجّ إلى كيرّيان

بدأ الحجّ منذ غداة اكتشاف تمثال «سيّدة كلّ المعونات»، وتكثّف بفضل الأشفية المعجزة التي شرعت تتحقّق بشفاعة العذراء والقدّيس «غال».

وشُيّدت كنائس جديدةٌ تكريمًا للعذراء «سيّدة كلّ المعونات».

وجرى العديد من الأشفية المعجزة بشفاعتها، وقد أُكتُشِف صليبٌ من الغرانيت يحمل تاريخ العام ١٦٥٥ منصوبًا فوق مرتفعٍ على جانب الطريق، أقامه ذوو فتاةٍ، ابنة سبعة عشر شهرًا، شفيت من شللٍ كاملٍ في كلّ أعضائها، بعد أن نُذرت لسيّدة كيرّيان.

رسالة «كيرّيان»

اختيرت فتاةٌ معاقةٌ لإظهار مجد الله وقدرته الكلّيّة.

لم تكن تسمع ضوضاء العالم، ولكنّها خبرت وجودًا إلهيًّا في داخلها.

رسالة العذراء تبدو بسيطةً، ولكنّها مثقلةٌ بالرموز والمعاني، فالحجّاج الذين ما انفكّوا، منذ ثلاثة قرونٍ، يختلفون إلى ذلك المكان المعزول، يلمسون حضورًا ساميًا، وينالون نعمًا سنيّةً.

طلبت العذراء من الفتاة خروفًا، وهي غير راغبةٍ في حرمان أسرةٍ شيئًا من مورد رزقها. مثلما كان ابنها قد طلب من السامريّة ماءً، كي يفيض عليها وعلى مواطنيها مياه الحياة. طلبُها كان تمهيدًا لشفائها، ولإيقاظ قلوب مواطنيها على حبّ الله لأبنائه.

ودعتها إلى إبلاغ كاهن الرعيّة، والاستعانة به. إنّ الربّ قادرٌ، بمفرده، على تحقيق كلّ ما يريد، ولكنّه يستعين بوساطة البشر، مع معرفته لوهنهم، ورداءة معظمهم.

ورغبت في بناء مصلًّى تكريمًا لها. من المحقّق أنّها لم تكن راغبةً في بناءٍ من حجرٍ، بل في مكانٍ للكلمة، والبشرى السعيدة، وللإفخارستيّا، وخبز الحياة، مكان اجتماع أشخاصٍ شديدي التباين، كلّهم خطأة، وكلّهم محبوبون، وجميعهم مدعوّون إلى اختبار عالمٍ جديدٍ، راسخي الأقدام على الأرض، ولكنّ عقيدةً واحدةً تدعوهم إلى قول «أومن»، الذي يقودهم إلى انتظارٍ مذهلٍ: «أرجو الحياة الأبديّة» في عالمٍ آخر، في وطنٍ نهائيٍّ. ولا يلبث الإيمان المشترك أن يحوّل «أنا» إلى «نحن» فيهتفون معًا: «أبانا».

دعت العذراء إلى انتشال صورتها من الوحل، فهي الدرب إلى ابنها، وهي تقف في مستهلّ مسيرتنا الأرضيّة، وهي التي تستقبلنا عند نهاية سعينا.

صورتها هي نفوسنا التي ندنّسها بالخطيئة، والتي تطلب منّا العذراء انتشالها من الحمأة، وتطهيرها، وإعادتها الى رونقها الأصيل.

ولا ريب أنّ القرن السابع عشر الذي عاشت فيه «جانّ»

قد شهد بروز عباقرة روحٍ، أمثال «ڤنسان دي پول» و«أوليبه» والكردينال «بيرول»، و«بوسّويه». وقد أثَّروا بكتاباتهم وأقوالهم في نخبةٍ من المجتمع، وجاءت العذراء بنفسها كي تحرّك قلوب أثيري ابنها، الفقراء والصغار والمساكين، حاملةً لهم البشرى، ومؤكّدةً لهم حبّ ابنها للجميع.

جاءت إلى عالمٍ جفّفت روحَه القِيَمُ الزائفة المصطنعة، وهذا ما أكّدته حاجّةٌ اعترفت: «هنا أتّصل بالحقيقيّ الراهن».

وقد ذكّرت العذراء أنّ الصمم الفعليّ هو الانصراف عن تعاليم الإنجيل، وعن الكلمة، كلمة الحياة.

في مزار «كيرّيان» يَغُضّ المصلّون عيونهم، وينسلخون عن ضجيج العالم، فيسمعون بآذان قلوبهم، وينعمون بحضورٍ غامرٍ، وبحبّ أمٍّ، هي، أيضًا أمّ يسوع. وبوسع هؤلاء إشاعة نور الله، غالبًا أكثر ممّن يتألّقون بفصاحة الخطابة، وبلاغة الكتابة.

لقد كانت ظهورات «كيرّيان» تصديقًا لقول الرسول بولس: «لكي لا يقوم إيمانكم على حكمة الناس، بل على قدرة الله».

بياض

ظهورات في «پونمان» (PONTMAIN)
(فرنسا – ١٨٧١)

وضع فرنسا، عام ١٨٧١:

ثلاث عشرة سنةً مرّت على ظهور العذراء في لورد.

الوضع السياسيّ في فرنسا كارثيٌّ. فالبروسيّون يتقدّمون من نصرٍ إلى نصرٍ، والجيش الفرنسيّ يخوض معارك يائسةً، فصفوفه تندحر، مهزومةً، منهارةً، وأفواج جرحاه تتدفّق، بلا انقطاع، والفلاّحون المذعورون يخفون كلّ ما لديهم: الزهيد من المال، والقمح والنبيذ، والأغطية. وتُضاعف هواجسَهم ظواهرُ طبيعيّةٌ غريبةٌ. ففي الحادي عشر من كانون الثاني، انتشرت، مع الفجر، أنوارٌ غير مألوفةٍ، شاهد البعض في ثناياها ساري مركبٍ تائهٍ، ورأى آخرون أبراج نواقيس

كاتدرائيّةٍ. وعند ظهيرة يوم السابع عشر من ذلك الشهر عينه، اهتزّت الأرض.

وفضلاً عن كلّ ذلك، كانت قد انتشرت أوبئة التيفوئيد والجدريّ انتشارًا مريعًا – فجفا النوم جفون الفرنسيّين، وبدت السماء صمّاء لا تصغي إلى صلواتهم.

وانتهت قوّات البروسيّين إلى أبواب مدينة «لاڤال» غربيّ فرنسا، التي يفصلها عن قرية «پونمان» (PONTMAIN) نحو خمسين كيلومترًا.

هذه الأوضاع المقلقة حفزت القوم على التماس عون الصلاة، التي وجدت فيها النفوس ملجأً وعزاءً، ولاسيّما أنّ ثمانيةً وثلاثين رجلاً من تلك القرية كانوا قد سيقوا إلى الحرب.

«پونمان» وأسرة «باربيديت»:

پونمان دسكرةٌ، يقطنها زهاء خمس مئة نفسٍ، يجهد كاهنهم لإبقاء جذوة إيمانهم مضطرمةً.

وقد عهد عن ذلك الكاهن السبعينيّ، الذي أمضى نحو نصف عمره في تلك الرعيّة، وقاره، وغيرته، والتزامه، ودأبه على العناية بالكنيسة والرعيّة اللتين يتولّى خدمتهما.

وكان يولي السيّدة العذراء تكريمًا فائقًا، فقد زيّن هيكل الكنيسة بتمثالٍ لسيّدة الحبل بلا دنسٍ، وأسّس أخويّة قلب مريم الطاهر، التي انضوى إليها معظم أفراد الرعيّة. ولمّا ظهرت العذراء في «لاساليتّ» عام ١٨٤٦، أطلع رعيّته على ذلك الحدث، في عظته الأسبوعيّة التي ختمها بهتاف: «تحيَ مريم!». وقد اتّسمت عظاته، عمومًا، بالبساطة والإيجاز اللذين يُضفيان عليها جاذبًا وفائدةً.

وعلى حاشية تلك القرية، وعلى مقربةٍ من كنيستها، تقيم أسرة فلاّحين، مؤلّفةٌ من الوالد «سيزار باربيديت» (César BARBEDETTE) وزوجته وابنها الشابّ من زواجٍ سابقٍ، والمعبّأ في الخدمة العسكريّة بسبب الحرب، وولديهما الفتيّين الطالبين «أوجين»، ابن اثنتي عشرة سنة، و«جوزيف»، في العاشرة من العمر.

تقيم أسرة «باربيديت» في بيتٍ مسقوفٍ بالقرميد، ملحقٍ به مخزن حبوبٍ طويلٌ، مسقوفٌ بالقشّ والأغصان. في هذا المخزن كان الأخ الأكبر، قبل استدعائه إلى الجبهة، يطحن عشبةً شائكةً، تنبت على حواشي الطرقات، ويُصنع منها علفٌ للأحصنة وللأبقار. ولكن إثر استدعاء الشابّ إلى الجيش، أُلقيت هذه المهمّة على عاتق أخويه الصغيرين، رغم مشقّتها. وكانا يقومان بقسمٍ منها باكرًا، قبل شخوصهما إلى المدرسة، وينجزانها مساءً، عند عودتهما. وكان والدهما يكتفي بالمراقبة، وبالتدخّل كلّما حرنت آلة الطحن، فيعيدها إلى العمل. وغالبًا ما كان الفَتَيان يؤدّيان عملهما، وهما يصلّيان لأخيهما المقاتل على الجبهة، وكان قلقهما عليه يضفي على صلاتهما حرارةً.

بين الفتَيَيْن تباينات في الطباع. فعلى قسمات أوجين ترتسم أمارات الألم، والجدّ، والرقّة، والسذاجة، والطيبة. أمّا أخوه الأصغر، جوزيف، الهزيل والشاحب، فهو يضجّ حيويّةً وحركةً.

وقد أَلِف الفتَيان النهوض في الساعة السادسة صباحًا، فيقدّمان قلبهما للّه، ويعكفان على طحن العلف. ثمّ يرتديان ثيابًا صوفيّةً حاكتها لهما والدتهما بأكمامٍ وأطرافٍ أطول من قامتهما، كي يتسنّى لهما استخدامها، سنةً بعد سنةٍ، وهما يزدادان نموًّا. وبانتظار تجهيز الإفطار الدسم الذي يساعدهما على مواجهة البرد القارس، كانا يتلوان المسبحة، عن نيّة أخيهما الجنديّ، ولا يكادان يزدردان الملعقة الأخيرة من حسائهما الصباحيّ حتّى يهرعا إلى الكنيسة، التي لا تبعد سوى أمتارٍ معدوداتٍ عن المنزل، حيث اعتادا خدمة القدّاس، يوميًّا. وريثما يحضر الكاهن، كانا يتلوان صلاة السحر، ويقومان برتبة درب الصليب التي دأبا على أدائها منذ نشوب الحرب. وفي الساعة الثامنة يصلان إلى المدرسة.

يوم ١٨٧١/١/١٧: ظهور العذراء

مساء يوم السابع عشر من كانون الثاني، كانا قد عادا إلى المنزل، وباشرا عملهما في طحن العلف. وفي فترة استراحةٍ،

خرج «أوجين» مستكشفًا أحوال الطقس، ووجود ظواهر غريبةٍ كتلك التي شوهدت في الأيّام الأخيرة، ووصفها والده بأنّها «علامات الأزمنة».

كان الثلج يغطّي الأرض وأسطح البيوت بلحافٍ أبيض كثيفٍ، ويبثّ بردًا ينخر العظام. ظلام الليل يلفّ الكون كلّه، والقمر غائبٌ، غير أنّ الفتى لم يلحظ، يومًا، سماءً مزدحمةً بالنجوم بقدر ما شاهد في تلك الليلة. وشدّ نظرَه منظرٌ غريبٌ، يعلو نحو عشرين قدمًا فوق جهة المنزل اليمنى: سيّدةٌ فارعة القامة، رائعة الجمال، يفترّ ثغرها عن ابتسامةٍ ساحرةٍ، ويداها ممدودتان، مرحّبتان. لم يُشغل «أوجين» ذهنه في استنباط تفسيرٍ لما كان يراه، بل اقتصر على التحديق إلى السيّدة التي كانت ترمقه بعطفٍ، وتبتسم له، وكأنّها أشدّ فرحًا بتأمّله، ممّا هو فرحٌ بتأمّلها.

كانت ترتدي ثوبًا أزرق داكنًا، انتشرت عليه نجومٌ ذهبيّة اللون، يتدلّى حتّى قدميها، ولا يشدّه أيّ زنّارٍ. وكان يحجب شعرَها وأذنيها غطاءٌ يستر ثلثي جبينها، ويحيق بوجهها

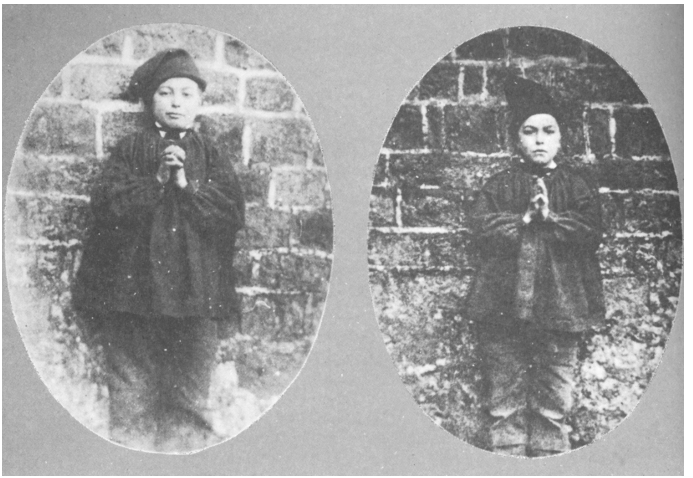

«جوزيف» و «أوجين»

رائيا پونمان

«فرانسواز ريشيه» (١١ سنةً)
و«جانّ ماري ليبوسّيه» (٩ سنواتٍ)،
اثنتان من الرؤاة

النحيف الأبيض، وينسدل على كتفيها، منحدرًا حتّى منتصف ظهرها. ويكلّلها تاجٌ ذهبيٌّ مزدانٌ بشريطٍ أحمر، يمضي اتّساعًا كلّما علا.

ظلّ الفتى «أوجين» زهاء ربع ساعةٍ مأخوذًا بالمشهد الساحر، إلى أن خرجت، من منزل ذويه، ضيفةٌ استوضحها هل هي ترى شيئًا فوق سطح الجيران، فأجابت نفيًا. وتنامى حوارهما إلى سمع والد «أوجين» وأخيه الأصغر، فاندفعا إلى الخارج مستطلعَين. لم يرَ الوالد شيئًا، بيد أنّ الأخ الأصغر «جوزيف» أكّد رؤيته سيّدةً جميلةً ممشوقة القامة. وكانت أوصافه لها ولزيّها، على تطابقٍ تامٍّ مع ما كان يراه «أوجين».

وخُيِّل إلى الوالد أنّ صغيرَيه واهمان يهذيان، فلو كان هنالك شيءٌ، حقًّا، لشاهده الجميع. فأمرهما بالدخول، واستئناف عملهما، قبل تناول العشاء. ولكن سرعان ما خامرته الشكوك، فأوعز إلى «أوجين» بالخروج والتأكّد من استمرار وجود الطيف الذي سبق له مشاهدته. وما لبث الفتى أن عاد مؤكّدًا أنّ السيّدة الجميلة ما برحت حيث رآها قبل

قليلٍ. وسارع إلى الخروج ثانيةً، كي يروي رغبته في تأمّلها، ورافقه أخوه «جوزيف». ثمّ لحقت بهما والدتهما، غير أنّها لم ترَ شيئًا. وإذ كان ابنها الأصغر يصفّق، ويتوثّب فرحًا، هاتفًا: «آه! ما أجملها! ما أجملها!»، ضربته على يده، وأمرته بالصمت، لئلاّ يستنفر هتافه جميع الجيران. ولكن سرعان ما انتابها القلق على ابنها الجنديّ، وساورها الشكّ في كون السيّدة التي تتراءى لصغيريها هي السيّدة العذراء. فطلبت منهما تلاوة خمس مرّاتٍ «أبانا»، وخمس مرّاتٍ «السلام»، تكريمًا لها، وشاركهما والداهما هذه التلاوة. وما إن فرغوا منها، حتّى دعت الأمّ صغيريها إلى التأكّد من حضور الطيف السرّيّ، فأكّداه. ولكن بما أنّها، هي وخادمتها، مع جهودهما وتحديقهما، لم تلحظا شيئًا، اتّهمت ولديها بالكذب، وكانت تلك هي المرّة الأولى التي تنعتهما بالكذب، مع أنّها كانت سريعة اللجوء إلى ضربهما.

وفيما كانا ينتقلان من المخزن إلى المنزل لتناول العشاء، تمهّلا، بُغيةَ التمتّع بتأمّل السيّدة التي ما برحت ترنو إليهما بحنانٍ، وبأرقّ بسمةٍ وأعذبها. لقد شقّت عليهما الإشاحة

عنها، فانطلقا يسيران القهقرى، وعيونهما شاخصةٌ إليها، متمنِّيَيْن المكوث خارجًا، الليل كلّه، لكيلا يُحرما ذلك المشهد الفاتن، هاتفين، بلا توقّف: «ما أجملها! ما أجملها!». ولكنّ والديهما لم يكفّا عن الإلحاح في استدعائهما لتناول الحساء. وللمرّة الأولى، في حياتهما، شَقّت عليهما إطاعتهما. بيد أنّ الأمّ السماويّة شجّعتهما، بنظرةٍ منها، على الاستجابة لوالديهما. فتناولا عشاءهما على عجلٍ، وقوفًا، رغبةً منهما في العودة، سريعًا، لتأمّل السيّدة الجميلة. وأوصتهما والدتهما ألاّ يتلكآ في الخارج، حيث البرد قارسٌ، وأن يكتفيا بتلاوة كلٍّ من «أبانا» و«السلام» خمس مرّاتٍ، وهما واقفان. ولكنّهما عندما ولجا، ثانيةً، إلى المنزل، كانت سراويلهما مغطّاةً بالثلج، إذ إنّهما، حيال مهابة السيّدة، لم يتمالكا عن الركوع للصلاة أمامها. وأكّدا استمرار حضورها، ملاحظَين أنّها في مثل قامة الراهبة، الأخت «ڤيتالين»، مدرّستهما. ولدى سماع والدتهما اسم تلك الراهبة، تبادر إلى ذهنها استدعاؤها في الحال، فهي كفيلةٌ برؤية ما تعذّر عليها وعلى زوجها رؤيته. فهرعت، مع ابنها «أوجين»، إلى

المدرسة، واستصحبت الراهبة التي جهد «أوجين» في لفت أنظارها إلى حيث كانت العذراء واقفةً. ولكنّها، هي أيضًا، حدّقت طويلاً، ولم ترَ شيئًا. فرجتها الوالدة كتمان الأمر، لكيلا يُشاع، في القرية، أنّ ابنيها فقدا رشدهما. ولكنّ الراهبة لم تقوَ على تلبية رغبة الأمّ، فقد كان، في المدرسة ثلاث طالباتٍ داخليّاتٍ يتدفّأنَ أمام الموقد، هنّ: «فرانسواز روشيه»، ١١ سنةً، و«جانّ ماري ليبوسّيه»، ٩ سنواتٍ، و«أوغستين موتون»، ١٢ سنةً. فطلبت منهنّ مرافقة السيّدة باربيديت إلى منزلها، لعلّهنّ يرين ما لم تتوفّق هي إلى رؤيته.

كانت «فرانسواز» هي أولى الرائيات، فمنذ ولوجها الحارة، أشارت إلى حيث كان الطيف السماويّ. ثمّ رأت «جانّ ماري»، وكانت أوصاف الفتاتين لما شاهدتا مطابقةً مطابَقةً تامّةً لأوصاف الأخوين أوجين وجوزيف. أمّا «أوغستين» فلم ترَ شيئًا.

وعادت الأخت «ڤيتالين» برفقة راهبةٍ أُخرى. استمعت إلى

وصف الأطفال المتطابق التفاصيل، غير أنّها لم ترَ، بعينيها، شيئًا. فاقترحت المجيء بأطفالٍ أصغر سنًّا، قد يكونون أوفر صدقًا وبراءةً، وبُعدًا عن الكذب، كما أوعزت باستدعاء كاهن القرية. وسرعان ما تقاطر معظم سكّان القرية حاملين أصغر أبنائهم وشرعت الأخت «ڤيتالين» بتلاوة ما يُدعى «مسبحة الشهداء اليابانيّين»، وهي أدعيةٌ تذكّر بأطفالٍ يابانيّين مسيحيّين، كانوا قد صُلبوا في ناكازاكي، عام ١٥٩٦، وطوّبهم البابا بيّوس التاسع عام ١٨٦٢.

وجاءت جدّةٌ بحفيدها «أوجين فريتو»، وله، من العمر، ستّ سنواتٍ ونصف السنة. ونظرًا لهشاشة صحّته، كانت قد لفّته بغطاءٍ صوفيٍّ. وأمام منزل آل «باربيديت»، كشفت عن وجهه الذي أشرق فرحًا. وعندما استُوضح عن سبب فرحه، أفاد أنّه رأى سيّدةً جميلةً، ابتسم لها، فابتسمت له.

ثمّ وافت السيّدة «بواتان» زوجة الإسكافيّ، وعلى ذراعيها طفلتها التي لم تتخطَّ، من العمر، خمسةً وعشرين شهرًا. وتلقائيًّا، شخصت بنظرها إلى حيث كان الأطفال الآخرون

يحدّقون، وصفّقت بيديها، هاتفةً: «لو زيزو، لو زيزو» (Le Zésus, le Zésus: اليثوع، اليثوع).

وفي اليوم التالي، حاولت امرأةٌ اختبار صدق تلك الطفلة، فدلّتها إلى مكانٍ آخر غير مكان الظهور، وسألتها:

– «لقد كانت هنا، أليس كذلك؟».

ولكنّ الطفلة نفت بحركةٍ حادّةٍ من رأسها، بلا تردّدٍ، والتفتت في اتّجاهٍ آخر، وأشارت بيدها إلى حيث حدث الظهور، فعلاً.

رسالةُ بيدٍ سماويّةٍ:

وفيما كان الكاهن يقترب من المكان، هتف الأطفال معًا: «إنّ أمرًا عجيبًا يحدث». وقد وصفوا، لاحقًا، ما شاهدوه: إطارٌ بيضاويّ الشكل، وبلون ثوب العذراء الأزرق، أحاق بالطيف السماويّ، مؤلّفًا هالةً، بشكل لوزةٍ، وفي داخله أربع شمعاتٍ مثبّتاتٍ أُفقيًّا، اثنتان منها عند مستوى الكتفين،

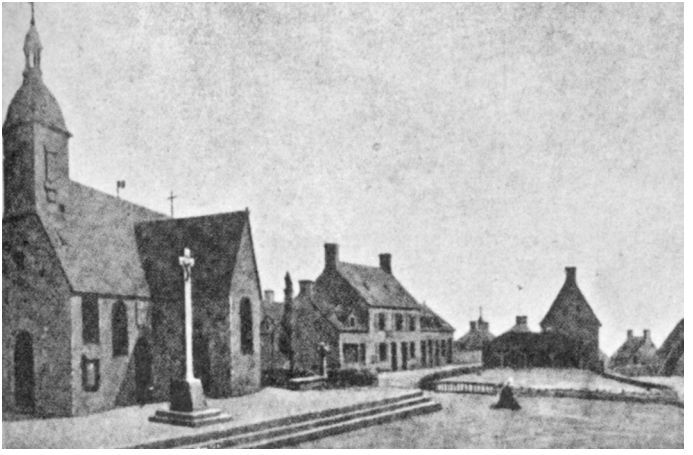

كنيسة «پونمان» وبعض بيوت القرية

الرؤاة الأربعة

واثنتان عند مستوى الركبتين. وفي مكان القلب ظهر صليبٌ أحمر صغيرٌ بحجم إصبعٍ.

وسرعان ما أحاق بالأطفال نحو خمسين فضوليًّا، وأمطروهم وابلاً من الأسئلة. وقد تأثّر معظمهم بتطابق شهاداتهم، وبنبرة صدقهم، رغم تباين أعمارهم. فآمنوا، في حين ظلّ آخرون مرتابين، رافضين تصديقهم.

ويبدو أنّ أمّ اللّه استاءت من هذا الرفض، مثلما استاءت من اللغط والضوضاء اللذين سادا، إزراءً بمهابة الحدث، وهذا ما أشار إليه الفتى «أوجين»، عندما هتف، بغتةً:

– «ها إنّها تنهار!» (وهذه العبارة، في لهجة قريته، تعني أنّها تحزن). وأعلن الكاهن: «إن كان الأولاد هم، وحدهم، يرون، فإنّما لأنّهم أكثر استئهالاً منّا». ودعا الجميع إلى الهدوء، والتزام الخشوع، والصلاة. فخرّوا راكعين، وشرعت الراهبة بتلاوة المسبحة.

وأعلن الأطفال أنّ قامة العذراء آخذةٌ في الكبر، على وقع الصلاة، وأنّ الإطار الأزرق المحيق بها يكبر معها، فيما تتباعد

النجوم المحيطة بها، كي تفسح لها مكانًا، وتأتي، اثنتين اثنتين، وتستقرّان تحت قدميها. وفي الآن عينه، تتكاثر النجوم التي تزيّن ثوبها الأزرق، حتّى باتت تحاكي قرية نملٍ.

وعندما شرعت الراهبة الأُخرى بترتيل «تعظيمة العذراء»، هتف الأطفال، ثانيةً: «إنّ أمرًا آخر يحدث... هذه عصًا»... وعندئذٍ ظهرت لافتةٌ كبيرةٌ، ناصعة البياض، بطولٍ يتجاوز ١٢ مترًا، وعرض ١,٥ مترٍ ونصف المتر، وراحت يدٌ خفيّةٌ تخطّ عليها بتؤدةٍ، وبأحرفٍ ذهبيّةٍ، والأطفال يتهجّون ما يُكتب، حرفًا حرفًا، إلى أن اكتملت الكلمة الأولى، وكانت «لكن»، التي ظلّت وحيدةً مدى عشر دقائق. وفي الساعة السابعة والنصف، وكان قد انقضى أكثر من ساعةٍ على بدء الظهور، اكتملت الجملة الأولى، وأعلنها الأطفال، على النحو التالي: «**لكن صلّوا، يا أولادي**». واعترض بعض الحاضرين على صيغة هذه الجملة، بحجّة أنّ الجملة لا تبدأ بكلمة «لكن»، إلاّ إذا كانت ردًّا على جملةٍ سابقةٍ. ولكنّ كثيرين ردّوا على هذا الاعتراض، موضحين أنّ استهلال جملةٍ بكلمة «لكن»، هو دليل نفاد صبرٍ، وإلحاحٍ

في الطلب، ودعموا قولهم مستشهدين بالعديد من العبارات الشائعة. خرس المشكّكون والمتهكّمون، وبكى آخرون تأثّرًا، فيما ظلّت العذراء في الجوّ تبتسم.

وفي هذه الأثناء، قَدِم رجلٌ من قريةٍ مجاورةٍ، لاهثًا، وأعلن نبأً مخيفًا، مفاده أنّ البروسيّين وصلوا إلى مدينة «لاڤال» القريبة. وأجابت إحدى نساء القرية، بهدوءٍ، وسكون جأشٍ، وقد زوّدها ظهور العذراء بثقةٍ لا تزعزعها كلّ أهوال الدنيا: «حتّى لو كانوا في مدخل قريتنا، لما ارتعبنا!».

وبما أنّ جوّ ذلك المساء كان شديد البرودة، فتح آل «باربيديت» باب مخزنهم على مصراعيه، فتدفّق سكّان القرية إلى داخله، ووُضعت للأطفال الرائين كراسٍ عند العتبة، كي يتمكّنوا من متابعة مراقبة الرؤيا. وكلّما حدث أيّ أمرٍ جديدٍ، كانوا ينتصبون وقوفًا، فتتوقّف الصلاة، ويخبرون بما يرون.

وفيما كان الجمع ينشد ترانيم للعذراء، وقف الأطفال وأعلنوا أنّ حروفًا جديدةً أخذت تُخَطّ، وراحوا يتهجّونها، إلى أن اكتملت الجملة التالية: «**سيستجيب لكم اللّٰه،**

قريبًا». هذه الجملة دُوِّنت على السطر عينه، بحروفٍ ذهبيّةٍ كبيرةٍ، وخُتمت بنقطةٍ ذهبيّةٍ، شبّهها الراؤون بالشمس.

شكر الحضور لأمّهم السماويّة تعزيتها، بنشيدٍ يضجّ بهجةً، وتكريمًا لها. كان قد خيّل إلى الكثيرين أنّ رسالة العذراء قد اكتملت، ولكن، بغتةً انفجر الأولاد بصيحاتِ فرحٍ. وحينئذٍ أعلن الأطفال أنّ سطرًا آخر شرع يُخَطّ، وقد استُهلّ بعبارة «إنّ ابني»... فتيقّن الجميع ممّا كانوا يخمّنونه تخمينًا، وهو أنّ زائرتهم ومحاورتهم هي، حقًّا، أمّ اللّه. هذا الإعلان أدفأ القلوب في ذلك الجوّ المثلج، وأنار ذلك الليل الشتويّ.

وعندما اكتملت الجملة كان نصّها: «**إنّ ابني يتعاطف معكم**». وامتدّ تحت هذا السطر خطٌّ ذهبيٌّ، ولكأنّه تأكيدٌ لفحواه.

وانطلقت الحناجر تصدح بأناشيد الشكر والتكريم، وواكبت العذراء الأناشيد ملوّحةً بأناملها، فهتف الأطفال: «ها هي ذي تضحك!». وراحوا يتوثّبون، ويصفّقون، مردّدين: «ما أجملها! ما أجملها!». وكم تمنّوا لو يستطيعون الطيران إليها!

وامتزجت ابتسامات الجموع بدموعهم، وهم يقرأون على وجوه الرؤاة فرح الأمّ السماويّة وحنانها.

بعد نحو عشر دقائق، انتهى النشيد، وتوارت اللافتة عن الأنظار، وراح الحضور ينشد:

«يا يسوع الحبيب، ها قد حان وقت صفحك عن قلوبنا النادمة،

ونحن لن نعصى، بعدُ، إرادتَك العليا، يا يسوع العذب!».

وبغتةً تجهّمت وجوه الأطفال، وأعلنوا:

«ها إنّها تحزن ثانيةً... إنّ شيئًا يحدث».

وفي الحال، شاهدوا صليبًا أحمر، بارتفاع نحو ستّين سنتمترًا، كان معلّقًا عليه مسيحٌ مضرّجٌ بالدم القاني، وقد علته لوحةٌ بيضاء دُوّن عليها، بحروفٍ حمراء، اسم يسوع المسيح. كانت شفتا العذراء تتحرّكان، ولكأنّها تصلّي. وقد انحنت العذراء صوب الصليب، وتناولته بيديها كلتيهما، وأمالته نحو الأطفال، وكأنّها تقدّمه لهم، وهي ترمق، في

الآن عينه، الصليب والحضور. وقد احتفظ الطفل «جوزيف باربيديت»، من هذا المشهد، بذكرى واكبته سحابة حياته، وقد وصفه، لاحقًا، بقوله:

«كان محيّاها يعبّر عن حزنٍ يستعصي على الوصف... لم تبكِ، ولكن في طرفي فمها، كانت شفتاها ترتجفان، معبّرتين عن تأثّرٍ بليغٍ. حزنها كان يفوق كلّ تخيّلٍ. لقد رأيت الألم يسحق والدتي عندما اختطفت المنيّة أخي الأكبر، بعد بضعة أشهرٍ من ذلك الحدث. ولكنّني أذكر أنّ حزن أمّي، آنذاك، لم يكن شيئًا، بالمقارنة مع حزن السيّدة العذراء، عندما استعدتُه في ذاكرتي. لقد كانت، حقًّا، أمّ يسوع عند أقدام صليب ابنها».

في أثناء هذا الظهور كان الحضور ينشدون للربّ وللعذراء، في حزنٍ وخشوعٍ. وبدت العذراء كأنّها تشاركهم صلاتهم وإنشادهم.

وبغتةً شهد الأطفال نجمةً تنطلق من تحت قدميها، وتصعد إلى جانبها الأيسر، مخترقةً الإطار الأزرق المحيق بها، وتشعل

عام ١٩١١

فوق: الأخوان: الراهب جوزيف والكاهن أوجين باربديتّ

أسفل: الراهبة جانّ ماري ليبوسّيه والآنسة فرانسواز ريشيه

رسمٌ يمثّل الظهور الأوّل

الشمعة التي كانت عند مستوى ركبتيها، ثمّ الشمعة عند مستوى كتفيها. ثمّ عبرت إلى يمينها، وأشعلت الشمعتين الأُخريين، وعادت فاستقرّت فوق رأسها.

وعندما استهلّت الراهبة نشيد «السلام، يا نجمة البحر»، غاب الصليب الأحمر، واستعادت العذراء وقفتها السابقة، باسطةً يديها إلى الأسفل، كما هي تظهر على ميداليّة الحبل بلا دنسٍ. واستقرّ، على كلٍّ من كتفيها، صليبٌ أبيض صغيرٌ بحجم الكفّ، فانطلق الأطفال يهلّلون، هاتفين: «إنّها تقف... إنّها تبتسم!».

كانت الساعة قد شارفت الثامنة والنصف، فأعلن الكاهن: «أصدقائي الأعزّاء، سنتلو، معًا، صلاة المساء». فركع كلٌّ من الحاضرين، حيثما كان.

عندئذٍ ظهر، تحت قدمي العذراء، غطاءٌ أبيض كبيرٌ، ولفّها بتؤدةٍ من الأسفل إلى الأعلى. توقّف، لحظةً، عند وجهها، ثمّ عند تاجها، قبل أن يتوارى كلّ شيءٍ، حتّى الإطار الأزرق والشموع المضاءة.

كان الظهور قد دام ثلاث ساعاتٍ وأعلن الأطفال أنّ كلّ شيءٍ انتهى، وأوى كلَّ فردٍ إلى فراشه، وقد أخذ التأثّر بالجميع كلّ مأخذٍ، وامتلأت قلوبهم عذوبةً، لن يمّحي أثرها.

غير أنّ الشكّ ما زال قابعًا في قلوب أفرادٍ، نظير «ماري غيدكوك»، التي ظهرت العذراء فوق منزل ذويها. فقد انضمّت إلى جمهور الذين وافوا إلى مكان الظهور، ولكنّها، عندما لم ترَ شيئًا، أعلنت رفضها الإيمان بالظهور، وعادت أدراجها. غير أن ساقيها ارتختا، بغتةً، فهوت راكعةً، عاجزةً عن الحركة. وأدركت أنّ ما أصابها هو عقابٌ على رفضها الإيمان، فتابت، وبكت، وصلّت.

أفاق «أوجين»، في اليوم التالي، وقلبه يضجّ سعادةً، غير أنّه كان نادمًا، إذ إنّه، من جرّاء انشغاله بتهجّي الرسائل السماويّة، وتفسيره للحاضرين ما كان يحدث، لم يُصلِّ، ولم يحاور الضيفة السماويّة، بقدر ما كان يتمنّى.

ومن صدور سكّان القرية تلاشى كابوس الحرب، وغشى القلوب اطمئنانٌ إلى بركة السماء. وصدَقَ حدْسُهم. فبعد

مضيّ يومين، أخذ جيش البروسيّين المحتشد عند أبواب «لاڤال»، مهدّدًا باجتياحها، ينسحب، مثيرًا دهشة القادة الفرنسيّين. وقبل انقضاء أسبوعٍ على هذا الانسحاب، وُقّعت معاهدة الهدنة، وعاد جنود قرية پونمان الثمانية والثلاثون، جميعهم، سالمين، إلى ذويهم وبيوتهم. وشاع، مكان الهواجس الطاغية، شعورٌ بحماية حضورٍ أموميٍّ منيعٍ، وتعالت، من كلّ صدرٍ، آيات الشكر والتسبيح.

ثمارٌ روحيّةٌ، وتحقيق:

التحوّل الروحيّ الذي أنتجه الظهور، والإقبال الكثيف على الصلاة، واليقين الراسخ باستحالة قدرة الأطفال على اختلاق حدثٍ بهذا الحجم، أقامت، كلّها، دليلاً ساطعًا ودامغًا على صحّة الظهور، وعلى ثماره اليانعة.

ففي كلّ مساءٍ، كان سكّان القرية والقرى المجاورة يهرعون إلى كنيسة پونمان التي غدت عاجزةً عن استيعابهم، فيتلون

المسبحة، ويرتّلون الأناشيد التي سبق لهم إنشادها في مخزن آل «باربيديت»، يوم الظهور، في تأثّرٍ عميقٍ.

وسرعان ما تقاطرت أفواج الحجّاج إلى پونمان. ومنذ شهر أيّار ١٨٧١، أصبحت رحلات الحجّ يوميّةً. وقُدِّر عدد الحجّاج الذين أمّوا پونمان، عام ١٨٧١ بمئة ألف حاجٍّ، واحتُفلَ بألفٍ وأربع مئة قدّاسٍ، مُنِح، في أثنائها، خمسة عشر ألف مناولةٍ، وعجز كاهن الرعيّة عن تلبية جميع طالبي الاعتراف، وعن الردّ على سيل الرسائل الواردة.

وتكاثرت الارتدادات الروحيّة، والأشفية العجيبة، وفاضت القلوب اعترافًا بجمائل العذراء، وبعطفها الأموميّ.

وبفضل تبرّعاتٍ تلقائيّةٍ وسخيّةٍ، شُيِّد مزارٌ لسيّدة پونمان. وفي هذا السبيل تبرّعت أرامل بكلّ ما يملكنَ، وتخلّى بعضهم عن رقعة الأرض الوحيدة التي يملكونها.

ومنذ غداة الظهور، حوصر الأطفال الرؤاة باستجوابات المحقّقين والفضوليّين على السواء، وكانوا يستجيبون بطيبة خاطرٍ، مع ما كان ذلك يسبّب لهم من ضيقٍ وإزعاجٍ.

وقد جاء في تقريرٍ وضعه الأُسقف حول موقف الأولاد الرؤاة من الاستجوابات: «طيلة ثلاثة أيّامٍ، أُخضع الأولاد لاستجواباتٍ لم تُثبت سوى صدقهم، ومقتهم لكلّ أصناف الكذب، وتطابق أجوبتهم التامّ حول العديد من التفاصيل المتعلّقة بما شاهدوه بأعينهم...

«وكان لا بدّ من أن تكمل التحقيقاتِ الكنسيّةَ، تحقيقاتُ لجنةٍ لاهوتيّةٍ أخضعت إفادات الرؤاة والشهود لتمحيصٍ دقيقٍ، بغية تقييمها، وإقرار طبيعة الحدث، وبالإجمال الردّ على كلّ التساؤلات المتعلّقة به، صيغةً وفحوى».

ولا مفرّ من التنويه بأنّ أولئك الأطفال قد حرصوا، دائمًا، على رفض كلّ هبةٍ ماليّةٍ، من أيّة جهةٍ أتت.

بعض الأسئلة المطروحة عليهم كانت تتّصف بالعدائيّة، وبعضها الآخر بالتعاطف. وفي كلّ الحالات، كان تطابق أجوبتهم، ونبرة صدقهم وبراءتهم، خير دليلٍ على مصداقيّةٍ تنفذ إلى أعماق القناعات.

في العاشر من شهر آذار ١٨٧١، وافى الجنرال «شاريت» إلى پونمان، برفقة ضبّاط أركانه، واستجوب الأطفال الرؤاة، وهدّدهم بالموت، إن هم كانوا يكذبون. وقبل مغادرته، دوّن في سجلّ الرعيّة: «إنّي أؤمن».

وسألت، يومًا، مجموعةٌ من السيّدات والراهبات، الرائي «أوجين»، هل بين الحاضرات من تشبه السيّدة التي رآها، فأجاب، تلقائيًّا: «مقارنةً بها، كلّكنّ قبيحات».

وكلّف الأسقف كاهن قريةٍ مجاورةٍ بالتحقيق في تلك الظاهرة، فجاءت نتيجة التحقيق إيجابيّةً.

وحقّق في الظاهرة، بمبادرةٍ فرديّةٍ، كاهنٌ آخر، هو الأب ريشار، فمحّص كلّ شاردةٍ وواردةٍ، وسجّل كلّ قولٍ وردّة فعلٍ، ثمّ لخّص كلّ ملاحظاته والشهادات التي جمعها في وثيقةٍ تاريخيّةٍ من ستٍّ وعشرين صفحةً، كي يطّلع عليها الحجّاج. وقبل نشرها، قرأها على مسامع أهالي پونمان، وجميع شهود الظاهرة، وحشدٍ من الحجّاج، فأيّدوا،

جميعهم، صحّة كلّ كلمةٍ وردت في روايته، وأكّدوا توافقها مع ما شاهدوا وعاشوا. وقد صدرت الطبعة الأولى منها، في ٢٢ آذار ١٨٧١، ووُزِّع منها خمسون ألف نسخةٍ قبل نهاية العام نفسه، وظهرت لها ترجماتٌ في سويسرا، وإيطاليا، وإنكلترا.

وقد أكّد الأب ريشار أنّه دوّن نشرته هذه، وهو راكعٌ، تجلّةً وشكرًا.

وفي ١٤ آذار، أطلق الأسقف «ڤيكار» (Wicart)، مطران «لاڤال»، المعيّن حديثًا، تحقيقًا كنسيًّا. في مرحلةٍ أولى، تمّ الاستماع إلى أربعةٍ من الرؤاة، كلٍّ على حدةٍ. ثمّ سُمعت شهادات عددٍ من شهود العيان. وبنتيجة التحقيق، قُدّم تقريرٌ في نحو ثلاثين صفحةً. وكان الأسقف راضيًا عنه. غير أنّه، إمعانًا في الحرص والتثبّت، قام بتحقيقٍ شخصيٍّ في ١٤ أيّار، بمناسبة المناولة الأولى التي منحها لعددٍ من الرؤاة، وتثبيته لآخرين، بعد إقسامهم يمينًا علنيَّةً، وتحذيرهم من عواقب اليمين الكاذبة؛ وقد دوّن انطباعه، الذي أوجزه

بقوله: «لا أكثر هدوءًا وتواضعًا، ولا أصفى، ولا أثبت من التصريحات المتعاقبة التي أدلوا بها... عنصر إقناعٍ جديدٌ يُضاف إلى ما لدينا».

وفي ختام عظته، أعلن: «إنّي أومن... إنّي أومن».

ولكنّ الأسقف لم يقتصر على ذلك، بل إنّه، حرصًا منه على أقصى ما يمكن من حيطةٍ وحذرٍ، أطلق تحقيقًا آخر، في الخامس من كانون الأوّل، أشرك فيه أساتذةً في الطبّ، تأكّدوا من سلامة الرؤاة ذهنيًّا ونفسيًّا، ومن صحّة نظرهم، وأُخضعوا لامتحاناتٍ قاسيةٍ. ورغم صغرهم، جاءت أجوبتهم واثقةً، متطابقةً.

ثمّ حضر الأسقف شخصيًّا، في ١٨٧٢/١/١٣، كي يتثبّت، بنفسه، من عدم خضوع الرؤاة لأيّ تأثيرٍ خارجيٍّ. وفي العشرين من الشهر عينه، أوفد أخاه، النائب الأسقفيّ العامّ، لاستكمال التحقيق، بمساعدة ثلّةٍ من اللاهوتيّين. ورغم تحفّظات أعضاءٍ من اللجنة، أصدر الأسقف في ٢ شباط ١٨٧٢، قرارًا جاء فيه:

«نقرّ أنّ السيّدة العذراء، مريم المنزّهة من الدنس، وأمّ اللّه، قد ظهرت، حقًّا، يوم ١٧ كانون الثاني ١٨٧١، لكلٍّ من «أوجين وجوزيف باربيديت»، و«فرانسواز ريشيه»، و«جانّ ماري ليبوسّيه»، في قرية پونمان».

وقد استشهد الأسقف بمقاومة الأهالي، بادئ الأمر، لأقوال الأطفال الرؤاة التي عقبها يقينٌ منيعٌ نابعٌ من قناعةٍ راسخةٍ، وبما طرأ على إيمانهم وممارساتهم الدينيّة من تحوّلٍ وحرارةٍ، وبسلوك الأطفال الذي ينهض شاهدًا على صدقهم.

وتجدّد التحقيق بمناسبة الذكرى الخمسين للظاهرة، عندما طلب الأسقف «غريّيه» (Greiller)، الأسقف السابع على مدينة «لاڤال»، من روما، نصّ صلواتٍ خاصّةٍ لسيّدة پونمان. فطلبت روما الاطّلاع على قرار الأسقف الأسبق المتضمّن مبرّرات الاعتراف بتلك الظاهرة. وبُحث عن وثائق الدعوى، فلم يُعثر لها على أثرٍ، لا في روما، ولا في «لاڤال»، لأسبابٍ ما برحت مجهولةً.

وجُدِّدت إجراءات الدعوى، بعد انقضاء ثمانٍ وأربعين سنةً على الدعوى الأولى، بين ١٩١٩/٤/١ و١٩٢٠/٢/٩، وتمّ الاستماع إلى شهادات أطبّاء كانوا ما زالوا أحياءً، وقد أيّدوا كلّ ما كانوا قد شهدوا به آنفًا، وأضافوا ملاحظاتٍ تنفي كلّ إمكانيّة هلوسةٍ أو خداعٍ. واستُجوب، أيضًا، عددٌ من الكهنة الجديرين بالثقة، والأخوان أوجين وجوزيف باربيديت اللذان كانا قد أصبحا كاهنين. وكانت ذكرياتهما وقناعاتهما المتعلّقة بالظاهرة ما زالت حيّةً، منيعةً، واثقةً.

وفي ١٩٢٠/٤/١٦ أصدر المطران «غريّيه» القرار التالي:

«إنّا نقرّ... وفقًا للقرار الذي كان قد أصدره، سابقًا، المطران «ڤيكار»، أنّ العذراء مريم، المنزّهة من الدنس، أمّ اللّه، قد ظهرت حقًّا، في پونمان بتاريخ ١٨٧١/١/١٧، لعدّة أولادٍ، منهم اثنان أصبحا كاهنين في أبرشيّتنا، وقد أكّدا، مجدّدًا، في هذا التحقيق الثاني، بالكامل، الشهادة التي كانا قد أدليا بها في التحقيق الأوّل».

نبذة عن الرؤاة:

أوجين باربيديت (١٨٥٨-١٩٢٧)

سيم كاهنًا عام ١٨٨٣، وساق حياةً كهنوتيّةً مثاليّةً، اتّصفت بالدأب على الخدمة، والاستقامة، والتقشّف، والتضحية، والتقوى، والحرص على سلامة العقيدة، حتّى التشدّد.

كان يأبى التحدّث، علنًا، عن الظهور، خشية البكاء، من شدّة التأثّر. وفي السابع عشر من شهر كانون الثاني من كلّ عامٍ، في ذكرى ظهور العذراء له ولرفاقه، كان ينزوي في غرفةٍ، كي يخفي تأثّره، ويستغرق في شكر والدة اللّه. وفي ساعة موته، قال للكاهن الذي عاده، ودهش من الفرح الذي كان يفيض منه:

– «وكيف يحزن مَن أُعطي رؤية العذراء، ومَن يمسك هذه في يده؟». وأشار إلى المسبحة التي كان متشبّثًا بها.

أخوه جوزيف باربيديت (١٨٦٠-١٩٣٠)

كان أكثر ليونةً، ورقّةً، وفرحًا. انتسب إلى رهبانيّة «مكرَّسي مريم»، وواجه جمًّا من المعاكسات. كان يصبو إلى حياة الرسالة، ولكنّه كُلّف بالتعليم الثانويّ. كان ميّالاً إلى العلوم، ولكنّه كُلّف بتدريس الآداب؛ وانتُدب لتنشئة المبتدئين، ولكنّه لم يرتحْ لهذه المهمّة التي كانت تقتضي، في تلك الحقبة، إخضاع المبتدئين لامتحاناتٍ مذلّةٍ وشاقّةٍ، لم يستسِغْها. ورغم عقليّة ذلك الزمن التي كانت تفرض إماتاتٍ قاسيةً، علّمته آلامه أن يكون أشدّ رفقًا بالآخرين. وبعد لأيٍ، أُعفي من هذه المهمّة، وكُلّف بأعمالٍ زراعيّةٍ، وجد فيها شيئًا من العزاء. وسعد، أخيرًا، بتأسيس ميتم القدّيسة حنّة الذي عُيّن رئيسًا عليه، عام ١٩٠٠، ولكن شقّ عليه هجره عندما أوكل إليه عملٌ رسوليٌّ، عام ١٩٠٦.

في سنّ السادسة والأربعين كُلّف بالوعظ. وبمشقّةٍ تأهّل لهذه المهمّة، التي أتاحت له التحدّث عن نعمة رؤيته للعذراء

في طفولته. وعندما حُلَّت، رسميًّا، الرهبانيّة التي كان ينتسب إليها، تابع نشاطه سرّيًّا، وتعرّض لملاحقاتٍ قضائيّةٍ أوهنت قواه. ومع ذلك، تولّى مهامّ كهنة عدّة رعايا كانوا قد مُنعوا من ممارسة مهامّهم، فوجد السلام والعزاء.

ولّما اختير رئيسًا على ديرٍ، اعترض متذرّعًا بالمرض الذي نال من قدرته على الحياة الجماعيّة، وبخشيته أن يكون عالةً على الآخرين. وللمرّة الأولى اعترف بأنّ «أربعًا وثلاثين سنةً من الآلام قد حطّمت كلّ نوابضه».

يوم عيد الصعود، لعام ١٩٣٠، روى، للمرّة الأخيرة، ظهور العذراء له ولرفاقه؛ وعقب احتضارٍ طويلٍ وصامتٍ، فارق الحياة في ١٩٣٠/١١/٣.

لقد حدا مسيرتَه إيمانٌ وطيدٌ، وهمّ الخدمة، فكانت حياته مثالاً وقدوةً. وغالبًا ما ردّد القول: «حتّى لو أُعطيتُ أن أحيا مئتي عامٍ، لن أستطيع أن أمحي من ذاكرتي، ما رأت عيناي منذ نصف قرنٍ».

فرانسواز ريشيه (١٨٦٠–١٩١٥)

ساقت حياةً خفيّةً وضيعةً. فعملت خادمةً، ومساعدة مدرسةٍ، ثمّ خادمة رعيّةٍ، وماتت وهي تضطلع بخدمة الأب «أوجين باربيديت»، في إغفالٍ تامٍّ، فلم يتحدّث أحدٌ عن تضحيتها وتقشّفها.

جانّ ماري ليبوسّيه (١٨٦١–١٩٣٣)

حياتها كانت شهادةً. واجهت أزماتٍ نفسيّةً من جرّاء يتمها المبكّر. وانتابتها، في شبابها، شكوكٌ حول رؤيتها للعذراء، وارتابت في أن تكون قد كذبت في ما سبق لها أن شهدت به. اختارت الحياة الرهبانيّة، وآثرت الامّحاء. لم تعزُ الحدث الذي غيّر مسيرة حياتها إلى نعمةٍ حظيت بها، بل إلى ما رآه رفاقها.

وبالإجمال كانت مسيرة الرؤاة البسيطة، القائمة على الخدمة، والتضحية، والتواضع خير ردٍّ على النعمة التي خُصّوا بها.

رسالة يونمان:

ظهور يونمان هو من أكثر الظهورات شعبيّةً، وشفافيّةً، وإيجازاً. ويمكن تلخيص رسالته، التي اختُزلت في سطرين، بالبنود التالية:

– العذراء مريم هي رمز الانتقال من مفهوم الشعب المختار إلى مفهوم الكنيسة. مفهوم الشعب الجديد المولود في يسوع المسيح.

والصليب هو رمز مخاض ولادة العهد الجديد، ولادة الشعب الذي يرى النور في الجلجلة. الصليب المضرّج بالدم هو علامة الخلاص الذي يتعيّن علينا المساهمة به وإكماله في جسدنا. فقد كان تجلّي الصليب هو قمّة ظهور يونمان. لقد تعاقب، على محيّا العذراء، بسمة أمٍّ عطوفٍ، وكدَرٌ يحدثه صليب ابنها الذي تجدّده باستمرارٍ، آلام إخوته وخطاياهم، وتمحوه الصلاة.

العذراء تحمل الصليب في قلبها، وفي يديها، وعلى

كتفيها. وبفضل صلاة أبنائها، يتحوّل صليب الألم القاني، إلى صليب مجدٍ ناصع البياض.

– في «يونمان» العذراء هي أمٌّ، أكثر منها ملكة. بسمتها ولهجتها هما بسمة أمٍّ ولهجتها. تطيب لها مخاطبة أبنائها البسطاء، الفقراء، المثقلين بالهواجس والهموم. إنّها سيّدة الزيارة، التي خفّت مسرعةً كي تخدم قريبتها إليصابات، وتبثّها الفرح، لأنّ الربّ معها. وهي مريم قانا، التي لحظت احتياجات مضيفيها، ولبّت تمنّياتهم، قبل تلفّظهم بها، وفرجت غمّهم، بدعوتهم إلى تنفيذ مشيئة ابنها.

– همّها الأساسيّ هو إظهار ابنها، ودعوة البشر إلى تحقيق رغباته، والتماس عونه. إنّها توظّف، في مهمّة الخلاص، قلب أمّ الله وأمّ البشر، الذي يخفق بين ضلوعها.

– المسيحيّة هي اقتحام اللامرئيّ للمرئيّ، والروحيّ للمادّيّ، هي وحي الروح للجسد. بها يستخدم الله إشاراتٍ تيسّر الاتّصال به، إشاراتٍ تقول إنّه حاضرٌ بين ظهرانينا، مع

أنّه أكثر حضورًا في عالمٍ آخر، داعيًا الإنسان إلى تجاوز ذاته بالإيمان والرجاء والمحبّة. فمن خلال نظرة حزنٍ، وإشراق ابتسامةٍ، أكّدت العذراء عناية ابنها باحتياجات البشر الحقّة.

– دعوةٌ إلى روح الطفولة، فهو أوفر قدرةً وأهليّةً لرؤية اللّه، ولإدراك حكمته. فقد رأى أطفالٌ، دون الثالثة عشرة من العمر، ما خفي على الكهول، وعلى الكاهن والراهبات. وتبيّن أطفالٌ، بيُسرٍ، ما استَبْهمَ على الحكماء والمثقّفين.

– ودعوةٌ إلى البساطة، والتجرّد، والتحوّل إلى ثورة الإنجيل.

– انتهى الظهور بحجابٍ لفّ العذراء. زمن الرؤية المتألّقة دام سُويعاتٍ، وأُغلق إلى الأبد. بعده، لم يشهد أيٌّ من الرؤاة سوى ما خلّفته الرؤيا في قلبه من دهشةٍ وإيمانٍ. نعمة مساءٍ فريدٍ، عقبها، مدى الحياة، ليل إيمانٍ مزدانٌ بالنجوم.

في ذلك المساء أشرق على ظلمة القلوب والأذهان نورٌ سماويٌّ، غدا للرؤاة ملموسًا. وأضحى حضور العذراء لهم جليًّا، محسوسًا. العلامة التي تجلّت في السماء أحيت

ودعمت العلاقة السرّيّة الكامنة في شركة القدّيسين، والتي تحضر في كلّ صلاةٍ، وزوّدت الرجاء والثقة بدعمٍ منيعٍ.

– بالإجمال، رسالة «يونمان» هي رسالة رجاءٍ نحتاج إليه اليوم، بقدر ما كان سكّان «يونمان» يحتاجون إليه في حينه.

ظهورات العذراء في پلّڤوزان

فرنسا – ١٨٧٦ (PELLEVOISIN)

الآنسة «إيستيل فاغيت» (Estelle FAGUETTE)

بتاريخ ١٨٤٣/٩/١٢ وُلدت «إيستيل فاغيت» في منطقة «شامپانيي» (CHAMPAGNE) الفرنسيّة، من أُسرةٍ ميسورةٍ. فقد كان والدها يمتلك مقلعًا للطبشور، وفندقًا متواضعًا. غير أنّه، من جرّاء نصائح خرقاء، أفلس، وتردّى إلى العوَز. فعمل حارس مبنًى، ثمّ قصد، مع أُسرته، باريس، أملاً بالظفر بوضعٍ أفضل. ولكنّه لم يعثر، في العاصمة، على أيّ عملٍ دائمٍ، فاضطرّ إلى العمل اليوميّ، الذي قلّما توفّر، وما لبث أن اعتلّ، وعجز عن العمل، فاضطرّت ابنته «إيستيل» إلى العمل كي تعيل الأُسرة، منذ بلوغها الرابعة عشرة،

بمساعدة راهبات المحبّة، المنصوريّات. وبُغيةَ تلقُّن مهنةٍ تعينها على كسب خبز أُسرتها، تابعت دورة تدريبٍ في مصبغةٍ.

وقد تميّزت، منذ طراوة عودها، بحبّها المضطرم للسيّدة العذراء، وبعطفها على الفقراء. وقد قادتها هاتان الخصلتان إلى طلب الانضواء إلى الرهبنة الأوغسطينيّة، التي كانت تشرف على مستشفى «أوتيل ديو» في باريس، حيث مكثت ثلاث سنواتٍ، أسهمت في ترسيخ ثقافتها الروحيّة. بيد أنّها، منذ مباشرتها سنة الابتداء، غزت العِلَلُ جسدَها الهشّ، وضاعفت هشاشتَها سقطةٌ عطّلت حركة ركبتها، وأعاقت حركتها، وحالت دون مواصلتها أعمال التمريض. فأُكرهت، عام ١٨٦٣، قبل إبراز نذرها الرهبانيّ، على هجر الدير، الذي غادرته مستعينةً بالعكاكيز.

واستخدمتها أسرة «لاروشفوكو» (La Rochefoucauld)، التي كلّفتها ببعض أعمال الخياطة، وبالسهر على أطفال الكونتيسة، وظلّت، أحد عشر عامًا، تشارك تلك الأُسرة تنقّلاتها بين باريس، والقصر التي كانت تمتلكه في «پوارييه

مونبيل» (POIRIERS- MONTBEL) الذي يبعد نحو ثلاثة كيلومترات عن «پلّڤوزان» حيث سمح آل لاروشفوكو لذوي «إيستيل»، بالسكن في بيتٍ متواضعٍ كانوا يمتلكونه هناك. وكانت «إيستيل» تنفق عليهم كلّ ما تحصل عليه من أجرٍ. ورغم عملها المرهق، كانت «إيستيل» تتطوّع للسهر على كلّ من يصاب بعلّةٍ في القصر، سواءٌ كان من أصحاب القصر، أو من الخادمين فيه، ولا تتوانى عن مدّ يد العون إلى كلّ من يواجه محنةً، ومع ذلك كانت ضحيّة الحاسدين.

فعلى سبيل المثال لم يرُقْ إغراقها في التقوى لرئيس طبّاخي القصر، الذي عمد إلى حرمانها من الطعام. ومع ذلك، احتملت إيستيل هذا الحرمان صامتةً، ولم تصدر عنها أيّة شكوى، إلى أن اكتشفت الكونتيسة الأمر، فطردت المسيء.

في خريف عام ١٨٧٥، وكانت إيستيل قد بلغت الثانية والثلاثين، نال الإرهاق والحرمان من جسمها الذي كانت تنخره، منذ سنواتٍ، أمراضٌ خفيّةٌ، فهي كانت قد أصيبت

عام ١٨٦٥، بالتهاب صفاقٍ حادٍّ، لم يعالج العلاج الملائم، فأُضيف إلى آلام ركبتها، جاعلاً من حياتها جلجلةً دائمةً. غير أنّها واصلت الخدمة لكيلا ينفق ذووها جوعًا.

وقد دوّنت، لاحقًا، في سيرتها الذاتيّة، عن تلك الفترة: «كنتُ أتألّم ألَمًا شديدًا، وأنا أقوم بخدمتي. كنت أتلو المسبحة كلّ يومٍ، وأطالع بضع فقراتٍ من كتاب «الاقتداء بالمسيح»، الذي كان موضع مطالعتي الوحيدة. وقد حافظتُ على عادة حضور القدّاس بقدر ما كان يتسنّى لي، وكنت أجد في ذلك عزائي. وغالبًا ما أُعِرتُ سِيرَ قدّيسين، وأُعطيتُ كتابًا يروي ظهورات لورد، ولكنّني لم أُطالع أيًّا منها».

وما انفكّ وضعها الصحيّ يتفاقم سوءًا، إلى أن بلغ مرحلةً شديدة الحرج، عام ١٨٧٥، إذ اكتشف الدكتور «بوكّوا» (Bucquoy)، وهو عضوٌ في أكّادميّة الطبّ، أنّها تعاني، فضلاً عن التهاب الصفاق الذي ازداد سوءًا، ورمًا في الأحشاء بحجم برتقالةٍ، وسلاًّ رئويًّا متقدّمًا، فمنعها من مواصلة الخدمة، ولم يفسح لها أيّ أملٍ في شفاءٍ، وبعد

الكونتيسّة «لاروشفوكو» في الزيّ الدومينيكيّ»

«إيستيل» في زمن الظهورات

معالجةٍ فاشلةٍ في باريس، أُودعت في قصر «پواريبه» حيث كان عليها انتظار مصيرها المحتوم. واستشير بشأنّها طبيبٌ مشهورٌ آخر، فلم يكن أكثر تفاؤلاً من زميله، وتوقّع لها نهايةً وشيكةً، ويجدر بالتذكير أنّ داء السلّ، في ذلك العهد، كان قاتلاً، لا يؤمَل منه شفاء. وبالفعل، بعد عشرين عامًا على ذلك الحدث، قضى هذا الداء على القدّيسة تيريز الطفل يسوع، وهي في ريعان الشباب. وفضلاً عن ذلك، كان السلّ معديًا، فنصح الأطبّاء بإبعاد «إيستيل» عن أطفال القصر. ومن ثمّ، في مطلع عام ١٨٧٦، أودعها مستخدموها في بيتٍ صغيرٍ كانوا يملكونه في «پلّڤوزان»، وكلّفوا راهبات القرية بمواكبة أيّامها الأخيرة، كما كلّف الكونت «دي لاروشفوكو»، قبل مغادرته إلى باريس، كاهن القرية أن يبتاع لها بضع أقدام أرضٍ في المقبرة، وأن يعدّ لها كفنًا.

في العاشر من شباط، طلبت «إيستيل» استدعاء الدكتور «برنارد» الذي كان يشرف على علاجها، فرفض القدوم، بحجّة أنّ مهمّته هي معالجة من يرجو شفاءهم، لا مواساة المحتضرين. واستُقدم طبيبٌ آخر، كان قد افتتح عيادةً جديدةً

في الجوار، فأعلن، جهارًا، أسفه، لأنّ المريضة لم يبقَ لها من الحياة سوى سويعاتٍ معدوداتٍ.

أعلن الأطبّاء عجزهم عن شفاء «إيستيل» وقرّروا تركها لمصيرها المحتوم. ولم يعد للمسكينة من ملاذٍ سوى أمّ اللّه. وفي إحدى ليالي شهر أيلول من عام ١٨٧٥ كتبت لها رسالةً. وقد دوّنت، لاحقًا، في مذكرّاتها:

«مساء ذلك اليوم كنت وحيدةً، يرهقني الشعور بتخلّي الجميع عنّي، لأنّهم سئموا منّي ومن أمراضي. في تلك الليلة، أوكلت نفسي للعذراء، ووطّنت العزم على أن أقدّم لها طلبًا، وهذا ما فعلته في الحال». وخطّت لها الرسالة التالية:

«يا أُمّي الحنون، ها أنذا، من جديدٍ، ساجدةٌ عند قدميك. لا يسعك رفض الإصغاء إليّ، فأنت لم تنسي أنّني ابنتك، وأنّني أحبّك. فاحصلي لي، إذن، من ابنك الإلهيّ، صحّة جسدي المسكين، من أجل مجده.

«وتأمّلي ألم ذويّ. أنت تعلمين أنّني مورد رزقهم

الوحيد، أفلا أستطيع إتمام المهمّة التي بدأتها؟ وإن لم يتسنّ لك، بسبب خطاياي، الحصول لي على شفاءٍ تامٍّ، فسيكون بوسعك، على الأقلّ، أن تظفري لي بشيءٍ من القوّة تمكّنني من كسب عيشي وعيش والديّ. أنت ترين، يا أمّي العطوف، أنّهم مشرفون على استعطاء خبزهم اليوميّ. ولا يسعني أن أجيل ذلك في فكري، ولا ينتابني منه حزنٌ عميقٌ. تذكّري، إذن، الآلام التي قاسيتِها، ليلة ميلاد المخلّص، عندما اضطررتِ إلى قرع الأبواب، بابًا بابًا، طلبًا للجإ. تذكّري، أيضًا، ما عانيتِ، عندما مُدّد يسوع على الصليب! إنّني أثق بك، يا أُمّي الحنون، وإن أنت شئت، فبوسع ابنك شفائي. هو يعلم أنّني رغبتُ، رغبةً حارّةً، في أن أكون إحدى المكرّسات له، وأنّني، إكرامًا له، ضحّيت بوجودي في سبيل أسرتي المحتاجة إليّ، فتنازلي وأصغي إلى توسّلاتي، يا أمّي الحنون، وبلّغيها لابنك الإلهيّ، لعلّه يعيد لي عافيتي، إن راق له ذلك. ولكن، لتكنْ مشيئته، لا مشيئتي. وعلى الأقلّ فليهبني الاستسلام التامّ لإرادته. وليخدم ذلك

خلاصي وخلاص ذويَّ. أنت تمتلكين قلبي، أيّتها العذراء القدّيسة. فاحتفظي به دائمًا، وليكن عربون حبّي وشكري لعطاياك الأموميّة. وأنا أعدك، يا أمّي العطوف، إذا أنت منحتني النِعَم التي التمستُها، أن أبذل كلّ ما يسعني بذله من أجل مجدك ومجد ابنك الإلهيّ.

أحيطي بحمايتك ابنة أختي الصغيرة، وضعيها في مأمنٍ من القدوات الوبيلة، واجعليني، أيّتها العذراء القدّيسة، أتمثّل بطاعتك، وأمتلك معك يسوع، ذات يومٍ، وللأبد».

وفي شهر كانون الأوّل من عام ١٨٧٥ دوّنت «إيستيل» فعل استسلامٍ للمشيئة الإلهيّة هذا نصّه:

«يا إلهي لست أعلم ما الذي يجب عليّ طلبه. أنت تعلم احتياجاتي، وتحبّني أكثر ممّا أحبّ أنا نفسي، فهبني، يا إلهي، ما لا أعرف طلبه. لستُ أريد، ولا أجرؤ أن ألتمس شفائي. فأكتفي بأن آتي إليك، وأفتح لك قلبي. فاضربني، أو اشفني. إنّني أعبد، وسأعبد،

دائمًا، مشيئتك، وإن لم أتبيّنها. إني أُسلّم، وأصمت، وأضحّي بذاتي، وأهبها مستسلمةً. لا رغبة لديّ، بعد الآن، سوى تنفيذ مشيئتك المقدّسة، في كلّ شيءٍ. ساعدني كي أصبر على الألم. وأجعل التأوّهات التي تفلت من شفتيّ، صلاةً متفجّرةً من قلبي، متصاعدةً إليك. لقد تألّم ابنك الحبيب، يسوع مخلّصي، من أجلي، فمن العدل أن أتألّم من أجله. هو كان يمتلك قوّة إلهٍ، وليس لديّ ما أقدّمه له سوى ضعف خليقةٍ مسكينةٍ. علّمني، إذن، أن أُصلّي، أو، بالحريّ، صلِّ أنت من أجلي، أنا العاجزة عن الصلاة».

كلّفت إيستيل أحد زملائها الخدَم بإيداع هذه الرسالة في مغارةٍ مقامةٍ في حديقة القصر، على غرار مغارة «لورد». وبعد مضيّ سنةٍ، عثر عليها عامل بناءٍ كان قد كُلّف بترميم المغارة، ليلة عيد الحبل بلا دنسٍ، وفي هذه الأثناء كانت العذراء قد ردّت عليها بحضورها الشخصيّ، ومن خلال خمسة عشر ظهورًا امتدّت بين ١٤ شباط حتّى ٨ كانون الأوّل من عام ١٨٧٦.

ظهورات العذراء لـ «إيستيل فاغيت»

المرحلة الأولى من هذه الظهورات تناولت خمسة ظهوارات، جرت في خمس ليالٍ متعاقبةٍ. وكانت «إيستيل»، حينذاك، في أسوإ حالاتها، جسديًّا ونفسيًّا، تصارع الموت، وهي لم تتخطّ الثانية والثلاثين من سنوات عمرها. كان الأطبّاء قد نفضوا أيديهم من كلّ أملٍ في شفائها، وتوقّعوا نهايتها، في إحدى نوبات الألم التي لا تهادنها، والتي تزداد عنفًا وتدميرًا، ساعةً فساعةً، وهي، لولا خشيتها على مصير والديها، لم تكن تخشى أسباب المنيّة. ولكنّها، بعد تلقّي الزاد الأخير ومسحة الموتى، استسلمت لمشيئة اللّه؛ وارتضت الألم، تكفيرًا عن خطاياها، ومشاركةً لآلام الفادي، واستعدّت لتقبّل ما يشاء اللّه أن يُنزل بها من ضرباتٍ، وفي الآن عينه، التمست القوّة والصبر، والتسليم بمشيئة اللّه، في سبيل حمل صليبها بطيبة خاطر.

كانت قد بلغت أقصى درجات الوهن، فأَقلعت عن طلب أيّ شيءٍ، واكتملت تضحيتها، وساد نفسَها السكون.

الظهور الأوّل

كان المرض قد قضى على رئتيها، بحيث لم يعد يُسمع لتنفّسها أيّة نأمةٍ، وباتت عاجزةً عن كلّ حركةٍ، وولجت في شبه غيبوبةٍ. وبغتةً، رأت، عند حافّة سريرها، طيفًا مرئيًّا مكشّرًا، تعرّفت فيه الشرّير، فاستولى عليها الذعر. ولكن سرعان ما ظهرت أمّ اللّه قبالته، عند جانب السرير الآخر، في موقف دفاعٍ عن الفتاة، وأمرته بالنأي عنها، إذ إنّها ترتدي زيّها وزيّ ابنها (كتفيّة سيّدة الكرمل، وإيقونة بنات مريم، وصليبًا) فهزّ الشرّير السرير بعنفٍ، وفرّ غاضبًا، فاطمأنّت، إيستيل، نفسًا، وحدّقت إلى العذراء، فإذا بها تتلفّع بحجابٍ من صوفٍ أبيض، له ثلاث ثنياتٍ. وتأمّلت محيّاها وجماله الذي يستعصي على الوصف، وتناسق ملامحه، ولونه الذي يجمع البياض إلى الزهريّ، وعينيها الواسعتين العذبتين.

وإثر طردها لإبليس، التفتت العذراء إلى «إيستيل»، وخاطبتها برقّةٍ: «**لا تخشي شيئًا، فأنت تعلمين أنّك ابنتي**».

وبعد أن سكّنت روعها، شرعت تُعدّها، تدريجيًّا، لمعجزة شفائها، ملمِّحةً إلى الرسالة التي كانت قد وجّهتها لها، لسنةٍ خلت، فقالت لها: «**سيتأثّر ابني، لوضعك. ولكن ستتألّمين، بعدُ، خمسة أيّام، إكرامًا لجراح ابني الخمسة، ويوم السبت، ستنالين الشفاء، أو ستلقين حتفك. وإن أعاد لك ابني الحياة، فإنّي أبتغي أن تذيعي مجدي**».

وعد العذراء كان مبهمًا، ولكنّ أمّ الله أوحت للفتاة أسباب رجاءٍ واطمئنانٍ، إذ أرتها رخامةً كتلك التي يحفر عليها من يظفرون بنعمٍ سنيّةٍ تعابير شكرهم وامتنانهم لله. وقبل مغادرتها قالت لها: «**تشجّعي، ولكنّني أريد منك أن تفي بوعودك**»، مذكّرةً إيّاها بما ورد في رسالتها لها: «أنا أعدك، يا أمّي العطوف، إن أنت منحتني النعم التي ألتمسها، أن أبذل كلّ ما يسعني بذله، من أجل مجدك ومجد ابنك الإلهيّ».

الظهور الثاني

في الليلة التالية سبق الشرّيرُ، أيضًا، حضورَ ملكة السماء.

ولكنّه وقف بعيدًا عن إيستيل، وظلّ يبعد كلّ ليلةٍ أكثر، بحيث بدا شبه غائبٍ في ليلتَي الجمعة والسبت. وجاءت العذراء بالبشرى الحاسمة: «**ها إنّ ابني قد تأثّر، وسيعيد لك الحياة، وستنالين الشفاء، يوم السبت**». ومع أنّ إيستيل كانت قد التمست هذا الشفاء بضراعةٍ، وإلحاحٍ، إلاّ أنّها أجابت العذراء: «ولكن، يا أُمّي العطوف، لو كان لي الخيار، لآثرتُ الموت، بما أنّني متأهّبةٌ له». قد يبدو اعتراضها هذا مناقضًا لموقفها السابق، غير أنّ هذا التناقض ظاهريٌّ فحسب. والواقع أنّ اعتراضها يندرج في سياق وضع أمّ اللّه لها، في ظهورها الأوّل، أمام خيارين، فهي إمّا ستنال الشفاء يوم السبت، أو ستلقى حتفها. ووفقًا لذلك، تأهّبت «إيستيل» للاحتمالين كليهما، وقدّمت حياتها، طوعًا، للّه إن هو شاء ذلك. وهذا ما يفسّر قول العذراء لها أنّ ابنها سيعيد لها الحياة، التي كانت، داخليًّا، قد ضحّت بها. ومع أنّها نالت وعدًا بالشفاء والحياة، فقد جدّدت تقدمة حياتها للّه. وبيّنت لها العذراء، أنّ ابنها إنّما تعاطف مع حالها، بفضل استسلامها وصبرها، ومن ثمّ فعليها ألاّ تهدر نعمة «القيامة»

التي منّ بها عليها الربّ، وهي موقنةٌ بأنّ الحياة التي أُعيدت لها ستكون حافلةً بالآلام، من أجل مجد يسوع وأمّه، فالآلام المتقبَّلة، حبًّا وطوعًا، هي التي تُكسب الحياة ثمارًا وثوابًا.

وفي هذا السياق، أرتها العذراء، مجدّدًا، الرخامة البيضاء التي ستحفر عليها «إيستيل» شكرها لنعم الربّ، وإلى جانبها رزمةً صفيقةً من الأوراق الحريريّة البيضاء، التي ستُستخدم لتدوين مجد العذراء ورسائلها الخلاصيّة.

وفي هذه الأثناء، وريثما يتمّ شفاؤها عكفت العذراء على إعداد ابنتها لتقبّل نعمة القيامة والفداء، فدعتها إلى استذكار ماضيها، والندم على كلّ ما شابه من أخطاء. لا ريب أنّ ماضي «إيستيل» لم تلوّثه أيّة خطيئةٍ جسيمةٍ، غير أنّه، نظير ماضي كلّ إنسانٍ، لم يسلم من الهفوات، التي ننزع، اليوم، إلى استصغارها واستهوانها، ولكنّ العذراء تستقبح كلّ خطيئةٍ مهما صغرت، لأنّ الخطيئة هي التي كانت سبب صلب يسوع.

وفي هذا الظهور، أودعتها العذراء سرًّا، وعندما دعت

العذراء ابنتها «إيستيل» إلى استذكار ماضيها، غاضت بسمتها، وعرت وجهَها مسحةُ حزنٍ، مع أنّه لم يفقد شيئًا من رقّته وعذوبته. وعلى ضوء حزن الأمّ السماويّة، استهولت «إيستيل» كلّ أخطاء ماضيها، التي كانت، حتّئذٍ، تستهين بها، وقد دوّنت في مذكّراتها، حول تلك الحادثة: «كم كنت أودّ أن أصرخ ندمي، ولكنّني لم أستطع لشدّة حزني!». وضاعف حزنَها مغادرةُ العذراء، من غير أن تفوه بكلمة عزاءٍ.

بمشاعر التوبة هذه أكملت العذراء تطهير نفس ابنتها، وإعدادها لفصح القيامة.

الظهور الثالث

كانت «إيستيل» ما برحت غارقةً في غمرة حزنها، وندمها على كلّ ما لوّث ماضيها، فجاءتها الأمّ السماويّة في الليلة الثالثة، معزّيةً، فأرتها بعض الأعمال الصالحة التي قامت بها، ولكنّ الفتاة رأتها ضئيلة الشأن، قياسًا إلى أخطائها. ولكن بما أنّها كانت قد استسلمت للمشيئة الإلهيّة، وارتضت

الآلام طوعًا، والمشاركة في صليب يسوع، حرصت العذراء على بثّ العزاء في نفسها فقالت لها: «**تشجّعي، يا ابنتي... كلّ هذا قد مضى، وأنت، بتسليمك، قد افتديت أخطاءك**». ثمّ أدلت بالعبارة الجوهريّة التي أوجزت رسالة «بلّقوزان»، وأمست لها شعارًا: «**تشجّعي، يا ابنتي أنا كلّيّة الرحمة**». فقلب أمّ اللّه وأمّ البشر قد تضامن مع قلب ابنها، رأفةً ببؤس البشر الناجم عن خطاياهم، في سخاءٍ بطوليٍّ واحدٍ، وتضحيةٍ واحدةٍ، تضحية الصليب التي افتدتنا.

وقد عبّرت العذراء عن عمق رحمتها بقولها للفتاة المحتضرة:

«**إنّ أعمالك الصالحة القليلة، والصلوات الحارّة التي وجّهتها لي، قد أثّرت في قلبي الأموميّ، ومنها تلك الرسالة الوجيزة التي سطّرتها لي في شهر أيلول. وأكثر ما أثّر فيّ منها هذه العبارة: «انظري إلى آلام والديّ، إن هما افتقداني، فقد يضطرّان إلى استجداء خبزهما،**

واذكري ما عانيتِ عندما مُدّد ابنك يسوع على الصليب».
وقد أريت هذه الرسالة لابني. «إنّ ذويك في حاجةٍ إليك».

يا لرقّة العذراء، وعذوبة تعاملها مع براءة البائسين وبساطتهم! واختتمت أمّ اللّه هذا اللقاء الثالث مع المحتضرة الموعودة بالشفاء، بتحريضٍ ثلاثيٍّ:

«في المستقبل، اجهدي في أن تكوني وفيّةً.
لا تهدري النِعَم التي تُمنحينها.
وانشري مجدي».

وصايا تصلح لكلّ مسيحيٍّ، في كلّ مكانٍ وزمانٍ.

الظهور الرابع

في كلّ ليلةٍ من تلك الليالي الخمس كانت «إيستيل» تستحضر، في ذهنها، الأقوال التي أدلت بها الأمّ السماويّة في أثناء ظهوراتها السابقة. ومع أنّ الظهور الرابع كان قصيرًا إلاّ أنّ العذراء هي التي أخذت مبادرة تذكيرها بأقوالها السابقة.

وأشاعت في نفسها الطمأنينة بقولها: «**لا تخشي شيئًا، فأنت ابنتي، وقد استعذب ابني تسليمك بمشيئته**». وودّعتها بقولها: «**ستذيعين مجدي**» وإذ كانت الفتاة تتساءل عن السبيل إلى ذلك، أَوضحت لها الأمّ السماويّة «**ابذلي كلّ ما يسعك من جهدٍ**». نصيحةٌ موجّهةٌ إلى كلّ معمّدٍ، كي يشعّ مجد الربّ وأمّه القدّيسة.

الظهور الخامس: الشفاء ليلة ١٨ /١٩ شباط ١٨٧٦

تلك الليلة كانت قمّة الحدث. وخلافًا للّيالي السابقة لم تقف العذراء عند طرف السرير، بل اقتربت من الفتاة المدنفة، معبّرةً عن حضورٍ أوثق حميميّةً، وعلى خطورة شأن القيامة التي ستنعم بها ابنتها. هذا القرب مكّن إيستيل من تأمّل الأمّ السماويّة عن كثبٍ؛ وقد دوّنت، لاحقًا: «**يا إلهي، كم كانت جميلةً! لقد لبثتْ، طويلاً، جامدةً، صامتةً، ولكنَّها، بهذين الجمود والصمت، كانت تُفعم ابنتها فرحًا وسنًى روحيًّا، وقد بدت الغمامة المحيقة بها في نورٍ رقيقٍ، وزرقةٍ شفّافةٍ. عقب هذا الصمت حدّقت إليّ، ولستُ**

أدري ما انتابني، اعترتني سعادةٌ غامرةٌ، وهي كانت باسمةً!». صمت العذراء وبسمتها غمرا «إيستيل» سعادةً؛ وقبل أن تُنعم عليها بالشفاء ذكّرتها، ثانيةً. بما التزمت به: «أن تنشر مجدها».

وحينئذٍ تراءت للفتاة الرخامة التي كانت تراها، من قبلُ، بيضاء، لا كتابة عليها، فإذا بكلّ زاوية من زواياها الأربع، مزدانةٌ ببراعم ورودٍ ذهبيّةٍ وقد علاها قلبٌ ذهبيٌّ ملتهبٌ مطوّقٌ بالورود، وقد اخترقه سيفٌ، ودُوّنت على اللوحة هذه العبارة:

«في غمرة بؤسي تضرّعت إلى مريم،
فنالت لي من ابنها شفاءً تامًّا».

هذه العبارة حُفرت، لاحقًا، فعلاً، على رخامةٍ، وعُرضت في كنيسة الأبرشيّة، بموافقة الأسقف، تخليدًا لأعجوبة الشفاء.

كانت «إيستيل» قد التمست الشفاء الكامل، وإن تعذّر ذلك، بسبب خطاياها، فبعض القوّة لكي تواصل العمل من

أجل النهوض بعيشها وعيش ذويها الذين يعانون العوَز والمرض، وإلاّ فالتسليم بمشيئة الله إن هو ابتغى توفّيها.

وقد أعدّتها الأمّ السماويّة للظفر بأقصى مبتغاها، فجعلتها تندم بعمقٍ حتّى عن هفواتها الطفيفة، وتعد بنشر مجد الربّ وأمّه إن هي نالت الشفاء، وقد حقّق الربّ لها أمانيها كاملةً.

لقد كانت «إيستيل» مثالاً للبساطة، والتواضع، والثقة التي لا تتزعزع في حبّ العذراء الأموميّ؛ وبرقّةٍ، واحترامٍ، وخَفَرٍ، التمست منها المستحيل، فحصلت لها العذراء على المستحيل: الحياة المنتزعة من براثن الموت، من ابنها قاهر الشرّير، والخطيئة، والموت.

كان شفاء إيستيل، هو انتصار الإيمان، فعندما كانت على شفا لفظ نفسها الأخير، آمنت إيمانًا صلبًا «بالقادر أن يخلّصها من الموت» (عبرانيّين ٥: ٧)

في نهاية الظهور الخامس، ذكّرتها العذراء بمهمّتها القادمة: «**أجل، أجل، ستذيعين مجدي... ولكن قبل أن تتكلّمي استشيري معرّفك ومرشدك**». وزوّدتها بالنصيحة التالية: «**إن**

ابتغيتِ خدمتي، فالتزمي بالبساطة، ولتتوافق أعمالك مع أقوالك».

وبعد نيلها الشفاء استوضحت «إيستيل» هل يتعيّن عليها، في سبيل تمجيد الربّ وأمّه، تغيير نهج حياتها، فأجابتها الأمّ السماويّة: «**بوسع المرء أن يخلص في جميع الحالات. حيثما كنتِ يمكنك فعل الكثير من الخير، ويسعك إذاعة مجدي**».

وقبل مغادرتها، حذّرتها العذراء ممّا ينتظرها من فخاخٍ، واتّهاماتٍ بالهلوسة والجنون، ودعتها إلى ألاّ تعير ذلك بالاً. ونصحتها: «**كوني وفيّةً، وأنا سأساعدك**».

ورمقتها «إيستيل» تبتعد، بتؤدةٍ وجلالٍ، مخلّفةً وراءها الغمامة الزرقاويّة المحيقة بها. كانت تراقبها بسعادةٍ، ولا تملّ من تأمّلها، وقد أكّدت أنّها لم ترَ، قطُّ، أجمل من ذلك المشهد. أمّا عن شفائها فقد دوّنت ما يلي:

«**في تلك اللحظة، إذ كان طيف السيّدة العذراء القدّيسة يتوارى، انتابني، خلال لحظاتٍ، ألمٌ لم أعانِ أشدّ حدّةً منه، طيلة مرضي، ثمّ، بعد أن اضمحلّت تمامًا**

الغمامة الصغيرة التي كانت تحيق بالأمّ العطوف، كنتُ قد شفيت... في تلك اللحظة، شعرتُ أنّ الدم تفجّر في كلّ جسمي».

لقد ألفت العذراء أن تظهر «لإيستيل» محاقةً بغمامةٍ ترمز إلى المجد الذي واكبها منذ انتقالها إلى السماء، وكانت هذه الغمامة تتلبّث بضع دقائق متألّقةً بعد رحيل العذراء. وقد اندرج شفاء «إيستيل» خلال مراحل ثلاث: ألمٌ شديدٌ لم تعهد الفتاة مثل حدّته، طيلة مرضها، وقد قدّمت هذا الألم للربّ، مشاركةً في آلامه الفدائيّة. المرحلة الثانية كانت مهلة هدنةٍ وراحةٍ حاكت الموت، أو السبات، إذ خلت من كلّ شعورٍ، فلا ألمٌ ولا فرحٌ. أمّا المرحلة الثالثة، فتميّزت بولادةٍ جديدةٍ، إذ تفجّر، من كلّ كيانها، دمٌ جديدٌ روى كلّ أعضاء جسمها. وحينئذٍ، تلاشت غمامة العذراء التي ترمز إلى المجد الذي يحيق بملكة السماء، والذي منه نبعت معجزة شفائها.

شفاؤها كان صورةً لقيامة يسوع التي سبقتها آلامه وموته.

واستوضحت «إيستيل» عن الساعة التي تحقّق فيها شفاؤها

فقيل لها إنّها الثالثة والنصف، أي مطلع يوم السبت، اليوم الذي حدّدته العذراء لشفائها.

في الصباح تلقّت إيستيل المناولة، وعلى إثرها، أوعز إليها الكاهن رسم إشارة الصليب مستخدمةً ذراعها اليمنى التي ما برحت متورّمة متيبّسةً، فرسمت تلك الإشارة مرّتين، وتأكّد شفاؤها كاملاً، من غير فترة نقاهة. لقد كان هذا الشفاء الأخير، عقب نيلها سرّ الإفخارستيّا، بمثابة توقيعٍ الربّ على الشفاء العجيب الذي حقّقه في تلك الليلة، تلبيةً لرغبة أمّه.

وقد شهدت راهبات القدّيسة حنّة اللواتي شهدنَ معجزة شفائها:

«لقد كان من الجليّ، وممّا يتعذّر على أيّ إنسانٍ له خبرةٌ بالأمراض الشكّ فيه:

١ – أنّها كانت مصابةً بالسلّ.

٢ – أنّها انتهت إلى آخر مراحل مرضها، بحيث كان يبدو لنا، منذ ثمانية أيّامٍ، أنّها مشرفةٌ على الوفاة في كلّ لحظةٍ. كانت من الوهن بحيث بات يتعذّر عليها القيام بأيّة حركةٍ من

تلقاء ذاتها. غير أنّنا لم نلحظ، في أيّة لحظةٍ، أنّها فقدت رشدها ووضوح ذهنها. يوم الجمعة، عشيّة شفائها، بلغ بها الاختناق أشدّه، بحيث كانت كفيلةً بلفظ نفسها الأخير لدى أدنى حركةٍ. خلال هذه الأيّام، كانت، عدّة مرّاتٍ، في حالةٍ من الخوَر والقصور، بحيث كنّا ندني آذاننا من فمها، للتثبّت من أنّها ما زالت تتنفّس. ومنذ عدّة أيّام، كانت ذراعها اليمنى قد تورّمت، ورمًا جسيمًا، وتيبّست، ما كان يسبّب لها آلامًا حادّةً، فكانت تُدهَن بمرهمٍ لتخفيف وجعها. وكان قد تشكّل، في ذروة ذراعها، جرحٌ يُفرز قيحًا. وقد شفيت تلك الذراع شفاءً فوريًّا، يوم السبت ١٩ شباط، إثر مناولتها.

أولئك الراهبات كنّ قد جئنَ صباحًا لوداعها الوداع الأخير، إن هي لم تكن قد فارقت الحياة، بعدُ، وقد ذُهلن لرؤيتها جالسةً، سليمةً. وعندما رسمت إشارة الصليب، تلبيةً لطلب الكاهن، انفجرت دهشتهنّ في صيحة «معجزة، لقد شفيتْ!». وفي خلال لحظاتٍ، ذاع النبأ في كلّ أنحاء القرية، وتقاطر القوم، للتأكّد ممّا يصعب تصديقه أو تخيُّله.

وكانت دهشة النسوة، اللائي سبق لهنّ عيادتها ومعالجتها، عارمةً، لاسيّما عندما أقبلت، أمامهنّ، على تناول الطعام والشراب بشهيّةٍ، وكأنّ لا عهد لها بالمرض.

وبعد مضيّ سنةٍ على هذا الشفاء المعجز، كتب البروفسّور «بوكّوا» BUCKOY، الأستاذ في كلّيّة الطبّ بباريس، والذي كان قد أشرف على علاجها، عام ١٨٧٥، بناءً على طلب رئيس لجنة التحقيق الكنسيّ:

«... إنّ العلّة التي كانت تعانيها هذه الفتاة هي التهاب صفاقٍ مزمنٌ، ذو طابعٍ سلّيّ، مع تموضعٍ محدّدٍ، بشكل ورمٍ جسيم.. مراحل المرض الأولى تميّزت بالتهاباتٍ في أسفل البطن من جهة اليسار، ثمّ انتشر التهاب الصفاق وتعمّم. وفي هذه المرحلة أُصيب الصدر إصابةً جادّةً، وأظهر القسم الأيمن من الرئة علاماتٍ مؤكّدةً على سلٍّ سريع الانتشار.

لم أشكّ، حينئذٍ، أنّ تقدُّم العلّة سيكون مطّردًا وأنّه سيؤدّي إلى موتٍ قريبٍ.

ومع أنّ الواقع كذّب توقّعاتي، فتقديري لوضعها لم يتغيّر، وما زلتُ أعدّ شفاء «إيستيل» مدهشًا، وغير عاديّ، نظرًا للوضع الذي كانت فيه عند معاينتي الأخيرة لها».

وأوضح البروفسّور المذكور أنّ مثل داء «إيستيل» قد يشهد، في حالاتٍ نادرةٍ جدًّا، توقّفًا عن النموّ والانتشار، لا بل شفاءً، أحيانًا، ولكنّ طبيعةَ ذلك المرض، بما يحدثه من إصاباتٍ، يجعل متعذّرًا الشفاء العاجل، ويقتضي نقاهةً طويلة الأجل. في حين كان شفاء إيستيل فوريًّا، ولم يمرّ بأيّة نقاهةٍ، وتجلّت عليها، في الحال، علامات صحّةٍ مكتملةٍ».

وأضاف البروفسّور: «**لقد أخضعت الفتاة إلى فحصٍ ممعنٍ في الدقّة، وتفرض عليّ الحقيقة الاعتراف بأنّه لا بدّ من معرفةٍ سابقةٍ لمرضها لاكتشاف دلائل عليه.**

«**جميع وظائفها تعمل بانتظامٍ كاملٍ... وفي الأجزاء التي كانت مصابةً، لا يُظهر أدقّ فحصٍ أيّ أثرٍ يسمح بالارتياب بشفائها التامّ.**

«**إذن، لا مجال للشكّ بأنّ شفاءها كاملٌ، هذه هي**

الخلاصة التي أوصلني إليها فحصي لها اليوم».

وقد شهد أيضًا شفاء «إيستيل فاغيت» التامّ جميع الأطبّاء الذي تعاقبوا على علاجها، وأكّد جميع الذين عايشوها، عن كثبٍ، وتوقّعوا وفاتها، في كلّ لحظةٍ، أنّها باتت، بغتةً، تتمتّع بصحّةٍ لا تشوبها شائبةٌ.

ولا مفرّ من التنويه بأنّ صلاة شكرٍ حارّةً تفجّرت من نفس «إيستيل» عقب نيلها الشفاء وجسد الربّ، دوّنت، لاحقًا، نصّها التالي:

«يا أُمّي الحنون، ها أنذا بين يديك، فارمقني، بعين الرحمة، خادمتك المسكينة، ولا تسمحي أن تعطّل خياناتي مشاريع عنايتك بشخصي البائس. وليكن يسوع الذي حملتِه في قلبك، والذي تنازل، اليوم، وانحدر إلى قلبي، سندي الوحيد، وليجتثّ منّي الكبرياء التي غالبًا ما أوشكت أن تهلكني، وليقتلع كلّ ميولي الشرّيرة؛ وبالإجمال فلينتزع منّي كلّ ما لا يخدم مجده ومجدك.

«أيّتها العذراء القدّيسة، لقد أظهرتِ، اليومَ، قدرتك

إظهارًا فائقًا بشفائك جسدي، فاشفيني، خاصّةً، من الخطيئة التي غالبًا ما أرهقت نفسي.

«أنت، يا حاميتي المنيعة، أنت، بعد اللّه، مصدر عزائي، التي لطّفت مشاقّي، أنت، نور نفسي، الذي يوضح لي آثامي، أنت قوّتي، وكنزي، وفرحي، ورجاء حياتي وخلاصي. قلت لي: «أنت ابنتي»، فلا يسعك ردّ صلواتي، بل تنازلي ولبّيها، وارأفي بي كما يليق بأمّ اللّه المفعمة عطفًا وحبًّا للبشر الذين أقامك الآب أمًّا لهم.

وبما أنّك عددتني من محظيّيك، احصلي لي، من اللّه، على كلّ النِعَم الضروريّة لخلاص نفسي. وإنّي أعدك، يا أمّي الحنون، بفعل كلّ ما يسعني فعله، لكي أكون جديرةً بنِعَمك».

مرحلة الظهورات الثانية

مضى أكثر من أربعة أشهرٍ على شفاء «إيستيل»، تولّت، خلالها، العمل في الحديقة، والمنزل، بلا عناءٍ. وعند

منتصف شهر حزيران، انتابها شعورٌ مبهمٌ بأنّ السيّدة العذراء ستتراءى لها مجدّدًا. هذا الشعور خفق له قلبها بشدّةٍ.

ومساء الأوّل من تمّوز ١٨٧٦، كانت تتجاذب أطراف الحديث، في حديقة القصر، مع زميلةٍ لها من الخادمات، إذ كانتا تنعمان بعذوبة الأمسيّة الدافئة المضيئة، في مثل هذا الموسم. وعندما حانت الساعة العاشرة، سارعت إلى غرفتها، خضوعًا لنصحية معرّفها، الذي كان قد أوعز إليها ألاّ تمدّ السهر إلى أبعد من الساعة العاشرة والنصف. وفي الحال ارتمت راكعةً، وراحت تطالع، على ضوء شمعةٍ، مقاطع من كتابٍ يحمل عنوان «حبّ يسوع في الإفخارستيّا ونكران البشر لجميله». وكانت قد كَلِفت بهذا الكتاب، على إثر شكوى العذراء من خلال ظهورها الخامس لها، إذ قالت: «**إنَّ أكثر ما يحزنني هو قلّة الاحترام التي يقابَل بها ابني، في المناولة**». وفيما كانت تدني الشمعة منها كي تحسن المطالعة أشرق نورٌ ساطعٌ، نور العذراء المحاطة بضوءٍ ساكنٍ.

مـرّةً أُخـرى، أُسـرت «إيستيل» بجمال ملكة السماء،

وبعذوبة نظرتها، وقد دوّنت في مذكّراتها: «**آه! كم كانت جميلةً! وكم كانت نظراتها عذبةً، نفّاذةً!.... كان في عينيها من الفتنة ما حال دون إشاحة نظري عنها، فنظرها كان يجتذبني إليها**».

في هذه النوبة، كانت، «إيستيل» ترى العذراء بكلّ قامتها، وليس فقط جذعها، كما كانت تراها وهي مستلقيةٌ على فراش المرض. رأت، إذن، ثوبها الناصع البياض المشدود بزنّارٍ، وقدميها على مستوى أرض الحجرة، ولكن بدا، وكأنّ البلاط قد غار تحت قدميها، وذراعيها ممدودتين إليها، ويديها تسكبان مطرًا سرّيًّا.

كان ذلك هو الظهور السادس. أمّا الظهور السابع فقد تمّ في اليوم التالي، الثاني من تمّوز. كانت «إيستيل» قد شرعت تتلو صلاة السلام الملائكيّ، عندما مثلت أمامها الأمّ السماويّة. وكانت سعادتها من الشدّة بحيث عجزت عن إكمال صلاتها، وتحوّلت العبارات اللفظيّة إلى خبرةٍ معاشةٍ، إلى حوارٍ حيٍّ مع «المباركة بين النساء». ظهرت العذراء مثلما

ظهرت في اليوم السابق. ولكنّها كانت محاطةً بإكليلٍ كبيرٍ من ورودٍ، تركته أمام «إيستيل»، بعد مغادرتها، يشعّ نورًا، مشيرةً، بذلك، إلى شأن المسبحة الورديّة التي يؤلّف كلّ «سلامٍ» منها وردةً فوّاحةً، تستعذب شذاها ملكة السماء.

وفي هذا الظهور، أيضًا، كانت يدا العذراء تمطران نِعَمًا.

وقد دوّنت «إيستيل»، لاحقًا:

«**كانت ترمقني، وقالت: «لقد أذعتِ مجدي. تابعي... في قلب ابني من الحبّ الجمّ لي، ما يحول دون رفضه طلباتي. بواسطتي، سيمسّ أكثر القلوب تصلّبًا». وفي تلك اللحظة، كانت العذراء متألّقة الجمال**».

وبهذه المناسبة أودعتها الأمّ السماويّة سرًّا طلبت منها ألاّ تبوح به إلاّ للبابا لاون الثالث عشر. وقد قامت بهذه المهمّة، لاحقًا.

أمّا امتنان العذراء لإذاعة إيتسيل مجدَها، فهو إشارةٌ إلى الرخامة التي حفرت عليها عبارة «**في غمرة بؤسي،**

تضرّعت إلى مريم، فنالت لي من ابنها شفاءً تامًّا» التي وُضعت، بموافقة الأسقف، في الكنيسة المريميّة، تدشينًا للشهر المريميّ. وكانت «إيستيل»، أيضًا، خضوعًا لمعرّفها، قد نشرت رواية ظهورات العذراء الخمس الأولى لها، وكذلك رواية الظهور السادس، غداة حدوثه.

وحينئذٍ تذكّرت «إيستيل» رغبة معرّفها في استبيان معنى الأوراق البيضاء التي كانت قد رأتها في ظهور ١٦ شباط بقرب الرخامة البيضاء، فأوضحت أنّها لنشر رواية مجد العذراء، وفقًا لاقتراح خدّام الله. وقد تحقّق ذلك، عندما أمر كاهن الرعيّة «إيستيل» بتدوين رواية الظهورات.

وكانت العذراء قد أنذرت خادمتها «إيستيل» بأنّ تلك الرواية ستسبّب لها الكثير من المقاومة والافتراءات الباطلة، غير أنّها شجّعتها بقولها: «**لا تخشي، بل اعتصمي بالسكون**».

وخطر لإيستيل أن تستفسر عن عملٍ آخر كفيلٍ بتمجيد أمّ الله، مثل بناء كنيسةٍ، أو حفر بئر ماءٍ، ولكنّها كانت مرتبكةً، وأدركت العذراء قصدها، فابتسمت بعطفٍ،

وأوضحت لها: «**أليس شفاؤك دليلاً دامغًا على قدرتي؟ إنّما أنا جئتُ من أجل ارتداد الخطأة**».

الظهور الثامن: الإثنين ٣ تمّوز ١٨٧٦

كانت إيستيل في تلك الليلة منهكةً، ولخّصت هذا الظهور بتدوينها: «**رأيت السيّدة العذراء، مجدّدًا، هذه الليلة، على نحو ما رأيتها في الليلة الماضية. لم تمكث سوى بضع دقائق**». وقد استهلّت العذراء لقاءهما بتأنيب ابنتها بسبب نفاد صبرها، انتظارًا لحضور العذراء، ودعتها إلى أن تكون أكثر سكونًا. وقد اتّسم عقابها بالكثير من الرقّة. وقد عزت نفاد صبر ابنتها إلى الطبع الفرنسيّ المتأصّل فيها. فالفرنسيُّ، وفق وصف العذراء، «يريد أن يعرف كلّ شيءٍ قبل أن يتعلّم، ويريد أن يفهم كلّ شيءٍ قبل أن يعلم». ثمّ أنذرتها بأنّها قد تواجه الكثير من المصاعب، وودّعتها بقولها: «**تشجّعي، سأعود إليك**». ولكأنّ غايتها الرئيسة من هذا الظهور هي دعوة ابنتها إلى الراحة التي تحتاج إليها، وانتباذ

القلق. وتنهي «إيستيل» روايتها لهذا الظهور بقولها: «**كم كنت سعيدة! ما من عباراتٍ قادرةٌ على وصف السعادة التي كانت تغمرني، ثمّ غابت كما كانت تفعل في الليالي السالفة، وقد أشرف الليل على منتصفه**».

الظهور التاسع: السبت ١٨٧٩/٩/٦

سبق للعذراء أن كشفت النقاب عن أحد ألقابها: «**أنا كلّيّة الرحمة**». وها قد حان لها أن تسفر عن صفةٍ أُخرى لها، وهي علاقة حبّها الوثيقة بابنها الفادي، وقد أظهرته من خلال رسم قلب يسوع الأقدس على صدرها.

في كلّ ظهوراتها السابقة كانت العذراء تغطّي صدرها بكتفيّةٍ صوفيّةٍ بيضاء، لم تأتِ «إيستيل» على ذكرها، حتّئذٍ، لأنّها لم تكن تدرك معناها ورمزها. ولكنّها في هذا الظهور نزعت تلك الكتفيّة وأرتها لإيستيل، فتجلّى عليها، رسم قلب يسوع شديد الحمرة، على خلفيّةٍ ناصعة البياض.

من خلال هذين الظهورين بيّنت العذراء أنّها مربّيةٌ ومعلّمةٌ.

تمثال سيّدة «بلّقوازان»

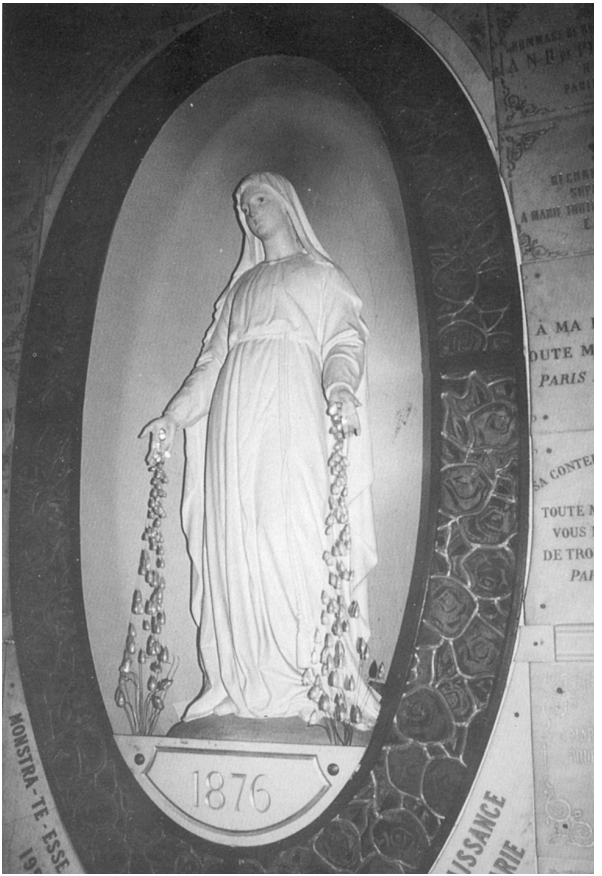

تمثال «الأمّ كلّيّة الرحمة»، المنصوب في مصلّى «بلّڤوازان»

فلكي تربّي «إيستيل» غابت عنها فترةً كي تتيح لها التمرّس من السيطرة على ذاتها، بالتضحية والطاعة، ولاسيّما أنّ «إيستيل» كانت قد كرّست ذاتها للعذراء منذ سنّ الرابعة عشرة، وأوكلت إليها تثقيفها الروحيّ. وقد حرصت الأمّ السماويّة على أن تمتلك ابنتها ذلك السلام النفسيّ، الذي يتغلّب على الغليان الداخليّ، ويتأهّل، بذلك، للمشاركة المثمرة مع يسوع، والتمتّع الساجي بحضور أمّه الرحوم. فاضطراب النفس، وإن كان ناجمًا عن دافعٍ حميدٍ، يُفسد، حتمًا، الوضوح الروحيّ الذي يرغب يسوع وأمّه منحنا ذاتهما، في إطاره. كما أنّ هذا الوضوح هو شرطٌ لازبٌ لسداد حكمنا، ولاستقامة قراراتنا وثباتها.

ولذلك قالت لها العذراء، في هذا الظهور التاسع: «**لقد حرمت ذاتك من زيارتي في الخامس عشر من آب، لأنّك كنت تفتقرين إلى القدر الوافي من السكون. ولكنتُ جئتُ أمس (٨ أيلول). ولكنّني كنتُ أنتظر منك فعل الخضوع والطاعة**». وعلّقت «إيستيل» على ذلك بقولها:

«في هذه اللحظة أدركت جيّدًا أنّني لو لم أكن خاضعةً، ولو لم أُطعْ، لحُرمت، أيضًا، من زيارتها هذه».

وبعد أن أعدّتها، أسفرت لها عن علاقة الحبّ التي تربطها بالمسيح الفادي، وفيما كانت تكشف عن صورة قلب يسوع الأقدس الجاثمة على صدرها، أعلنت العذراء: «**منذ القديم كنوز ابني مفتوحةٌ، فما على الناس سوى الصلاة**». وأكّدت حبّها لتكريم قلب يسوع، ثمّ أضافت: «**إنّني هنا سأُكرَّم**»، أي في قلب يسوع. وقد وصفت «إيستيل» القلب الأقدس، كما شاهدته، شديد الأحمرار، ملتهبًا، وكأنّه حيٌّ. من وسطه كان يبرز صليبٌ، وفيه جرحٌ يتفجّر منه دمٌ وماءٌ، ويعلوه إكليل شوك.

العذراء هي الإنسان اليهوديّ الأوّل الذي ارتدّ إلى المسيح ولبس المسيح. وما القلب الأقدس المرسوم على الكتفيّة التي تغطّي صدرها سوى الدليل على اتّحاد قلبيهما، من أجل فدائنا، وعلى أنّ يسوع هو كلّ حبّها، وهو، في آنٍ واحدٍ، إلهها، وابنها، ومخلّصها، ونسمة روحها، وصورة حياتها.

الظهور العاشر: الأحد ١٨٧٦/٤/١٠

منذ الظهور السادس حتّى الظهور التاسع شدّدت العذراء على النقاط التالية:

– تأثيرها على قلب اللّه،

– رأفتها بالمبتعدين عن حبّ ابنها وعن حبّها الأموميّ،

– فيض النعم النابعة من قلب يسوع المنسابة، عبر يديها، إلى الكنيسة،

– صلاة الورديّة التي تربط أبناءَها بأمّ المخلّص،

– قلب يسوع الجاثم على صدرها ممثّلاً اتّحاد كلّ شخص الأمّ مع ابنها، في مهمّة الخلاص وفي تقديس الكنيسة.

وبعد ذلك، حان أوان إرشاداتها وتحريضاتها، من أجل ازدهار الحياة الروحيّة لدى المؤمنين أعضاء كنيسة يسوع. وفي سبيل ذلك، شدّدت، تشديدًا خاصًّا، على «الصلاة» وأيضًا، على الصمت، والفقر الإنجيليّ.

الظهور العاشر كان قصيرًا ولم يستغرق أكثر من ثلاث دقائق. كانت العذراء مرتديةً، على نحوٍ ظاهرٍ، كتفيّة القلب الأقدس، الذي لن يبارحها في كلّ ظهوراتها اللاحقة.

في دعوتها إلى الصلاة، قالت العذراء: «**فليصلّوا، مقتدين بي**». صلاتها كانت إصغاءً للكلمة وتقبّلاً لها بإيمانٍ، وبفضل هذا الإصغاء، وهذا التقبّل الملتزم، «**صار الكلمة جسدًا**». ولقد كانت حياتها، في كلّ مراحلها، صلاةً، وتقدمةً، وتأمّلاً. أَلم يدعُها قداسة البابا بولس السادس «معلّمة الحياة الروحيّة لكلّ مسيحيّ»؟

الظهور الحادي عشر: الجمعة ١٥ /٩/١٨٧٦

على غرار الظهورَيْن السابقَيْن، كانت كتفيّة القلب الأقدس تغطّي صدرها؛ «**كانت مشعّةً، مادّةً ذراعيها، ويداها تسكبان مطرًا مدرارًا، كنت أشهد قطراته تنهمر بغزارةٍ... كانت الأمّ الإلهيّة تجيل أنظارها فائقة الجمال في جميع الجهات، وكانت تلك النظرات تنمّ عن الحماية وعن**

عطفٍ أموميّ...» وكأنّها تؤكّد أنّ كلّ ما يقع عليه بصرها هو ملكها.

ثمّ ذكّرت الأمّ السماويّة ابنتها بكلّ ما ستعانيه من آلامٍ، ولكنّها شدّدت عزيمتها، وأكّدت لها وقوفها إلى جانبها ومؤازرتها، وتقديرها للجهود التي تبذلها من أجل ترسيخ سلامها، النفسيّ، ولكنّها استدركت وأضافت: «... **السلام لا أبتغيه لك فقط، ولكن، أيضًا، من أجل الكنيسة وفرنسا. فالكنيسة تفتقر إلى السلام الذي أريده لها**» وعندما تفوّهت بهذه العبارة تنهّدت، ووجّهت إلى جميع أبنائها نصيحةً جليلةً: «**فليصلّوا، وليثقوا بي**».

ولمّحت العذراء، بأسًى، إلى فرنسا قائلةً: «**وفرنسا! ما الذي لم أفعله من أجلها؟، كم حذّرتها، ولكنّها أبت الإصغاء!**».

وأنهت العذراء رسالة ظهورها الحادي عشر بنبرة رجاءٍ: «**لاحقًا، سيتبيّنون حقيقة أقوالي!**».

الظهور الثاني عشر: الأربعاء ١٨٧٦/١١/١

في عيد جميع القدّيسين، ظهرت ملكة جميع القدّيسين، صامتةً، مثلما اعتادت أن تظهر، باسطةً يديها، مرتديةً كتفيّة القلب الأقدس، رائعة الجمال. ولحظت «إيستيل» في روايتها لهذا الظهور، أنّ العذراء كانت تحدّق في شيءٍ لم تستطع، هي، رؤيته، ولكنّها توسّمت فيه ابنها الإلهيّ. ثمّ أجالت نظرها في كلّ جهةٍ، ولكأنّها تبتغي القول: «**إنّني أسهر على جميعهم**». إنّها تجيل نظر عطفها وحبّها على كلّ ما اشتراه ابنها بدمه. وأخيرًا حطّت الأمّ السماويّة نظرها على ابنتها «إيستيل»، وظلّت صامتةً، وكأنّها قد شرعت تُعدّها للتأمّل في صمت قلبها، عندما ستغيب هي، عن ناظريها.

وكان القدّيس يوحنّا الصليب قد قال: «**لقد تفوّه الآب السماويّ بكلمةٍ واحدةٍ: هي ابنه. وهو يقول هذه الكلمة أبديًّا بصمتٍ أبديٍّ، وعلى النفس أن تصغي إليها بصمتٍ**».

تقول «إيستيل» عن ذلك الظهور الثاني عشر إنّ العذراء، قبل رحيلها: «**ألقت عليّ نظرها، ورمقتني بعطفٍ جمٍّ**».

إنّها سعيدةٌ بابنتها هذه، التي أخذت تصبح، في الصمت، مسكنًا حيًّا للكلمة. وستظلّ «إيستيل»، سحابة حياتها، تذكر تلك النظرة الصامتة، المثقلة حنانًا أموميًّا، والتي تسرّب إلى أعماق نفسها الكلمة المنبعثة من صمت الله.

الظهور الثالث عشر: الأحد ١٨٧٦/١١/٥

في نحو الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم، وفي نهاية تلاوتها لمسبحتها، ظهرت لها العذراء، وغدا تأمّلها لأسرار الورديّة تأمّلاً حيًّا للأمّ السماويّة الماثلة أمامها. ومع أنّها كانت قد شاهدتها مرّاتٍ عديدةً، بهرها جمالها الفائق، جمالٌ يتألّق بالمجد السماويّ، وبرقّة الأمّ، وعطفها على صغار أبنائها الأثيرين.

وقد علّقت «إيستيل» على ذلك الظهور بقولها: «إذ كنت أشاهدها، كنت أُعمل الفكر في قلّة جدارتي بنعمها، وفي أنّ كثيرين غيري يستحقّون، أكثر منّي، هذه النِعَم، ويقدرون أكثر منّي إذاعة مجدها».

ولكن أليس هؤلاء الصغار، الجهلة، العاجزون، هم الذين اختارهم الله كي يكشف لهم أسراره؟

وقد أكّدت «إيستيل» أنّها كانت سعيدةً بهذا الاختيار، مع كلّ ما سبّبه لها من مشاقّ وعداواتٍ واتّهاماتٍ، وكانت تقدّم كلّ شيءٍ لتلك التي اختارتها، كلّ ذاتها، وأعمالها، وصلواتها، وآلامها، من أجل مجد أمّها، الأمّ العطوف، التي تغدق عليها عطف الله.

الظهور الرابع عشر: السبت ١٨٧٦/١١/١١

كانت «إيستيل» قد عزمت الذهاب من قصر مستخدميها، صباحًا، إلى قرية «بلّفوزان» لزيارة والديها، وللصلاة في الغرفة التي ألفت العذراء أن تظهر لها فيها. ولكنّها، في ذلك الصباح، تلقّت من مستخدمتها الموجودة في باريس رسالةً تطلب منها صنع «كتفيّة» كتلك التي أرتها لها العذراء، فورًا، من أجل تسليمها إلى القاصد الرسوليّ السابق في باريس. فعكفت على هذا العمل وأكملته بعد الظهر في

القرية، أمام تمثال سيّدة لورد المهدى لها، وركعت، وتلت مسبحةً، وصلاةً للعذراء شاركتها بهما حلقةٌ من الأصدقاء والمعارف، وبحضورهم جميعًا، ظهرت لها العذراء، وبلغّتهم رسالةً.

في هذا الظهور لفت نظر «إيستيل»، على نحوٍ خاصٍّ، جمال «كتفيّة» قلب يسوع الذي برز وتجلّى فوق قلب العذراء، التي لبثت، برهةً، صامتةً، ثمّ أسرّت لها بأمرٍ خاصٍّ بها، وهنّأتها على الكتفيّة التي كانت فرغت من صنعها. وحينئذٍ، اعترى «إيستيل» الخجل، عندما قارنت الكتفيّة البدائيّة التي وشّتها، بتلك التحفة التي كانت تزيّن صدر السيّدة. غير أنّ أمّ الله لا تهتمّ بفنّ العمل بقدر ما يعني لها الحبّ الذي يدفعه ويواكبه. ولذلك طمأنتها قائلةً: «**لم تهدري وقتك اليوم، بل عملتِ من أجلي**» وأضافت قولها، مبتسمةً: «**ينبغي أن تصنعي الكثير من هذه**».

ومنذئذٍ دأبت «إيستيل» على رسم رمز الحبّ والفداء، على النسيج، بأصابعها، وإبرتها، وقلبها.

الظهور الخامس عشر: الجمعة ١٨٧٦/١٢/٨

اختارت العذراء يوم عيد الحبل بلا دنسٍ، من أجل ظهورها الأخير لمختارتها «إيستيل»، وتكليفها بمهمّةٍ عزيزةٍ عليها.

عقب القدّاس الاحتفاليّ، انتدبت الكونتيسة، مستخدمتها «إيستيل» لتزيين الحجرة التي كانت العذراء قد ظهرت لها فيها وشفتها، لسنةٍ خلت، والتي وافق الأُسقف على تحويلها إلى مصلًّى، وعلى استقبال أفرادٍ من «أبناء مريم» فيها، رسميًّا، للمرّة الأولى.

تأهّبًا لهذا الاحتفال كانت «إيستيل» قد ابتاعت آنيةً للبخور. وعندما عادت إلى غرفتها اشتدّ الشعور الذي كان ينتابها منذ لحظاتٍ، والذي توسّمت فيه نداء العذراء. وانتهزت كونها وحيدةً، فركعت أمام تمثال سيّدة لورد، وفي الحال، حضرت لها العذراء، فاعتراها انخطافٌ، شهدها وهي مأخوةٌ فيه، نحو خمسة عشر شخصًا، حضروا على

التوالي إلى غرفتها. وقد اعترفت «إيستيل» أنّ العذراء، في هذا الظهور، كانت أجمل من أيّ وقتٍ، وكانت محاطةً بحبل الورود الذي كان يحيق بها في الظهورين الخامس والسابع، مضفيًا على بهائها الإلهيّ، مزيدًا من التألّق، وباعثًا، من شخصها، نشوة شذًى أخّاذٍ.

كانت العذراء عازمةً على ترسيخ رسالتها في نفس ابنتها المختارة كي تنشرها، فقالت لها: «**يا ابنتي، تذكّري أقوالي**». وفي مثل طرفة جفنٍ، مرّ شريط ظهورات شباط، وتمّوز وأيلول، وتشرين الثاني، في ذهن «إيستيل». أقوال العذراء كلّها كانت تؤكّد علاقتها الوثيقة بابنها، وكونها، مثله، رحمةً، وتأثير صلاتها على رغبته الفدائيّة، وعزمها على أن تكون أداةً حيّةً، من أجل خضّ أكثر القلوب تصلّبًا، ومن أجل ارتداد الخطأة، ومن أجل العبّ من كنوز ابنها المفتوحة منذ زمانٍ، والتي يسهل الحصول عليها بالصلاة المدعومة بشفاعة أُمّه.

وخطرت في ذهن «إيستيل» دعوات الأمّ السماويّة إلى

سكون النفس، وإلى احترام ابنها في المناولة، وحصر الاهتمام به، بمنأًى عن الاهتمامات الثانويّة التافهة، ورغبتها في تكريم قلبه الأقدس، وذكرت «إيستيل» اختيار العذراء لها، لأنّها تختار الصغار والضعفاء من أجل مجدها.

شريط الظهورات السابقة مرّ مرورًا خاطفًا، ولكنّ أقوال العذراء انحفرت بعمقٍ في ذهنها، وفي قلبها، لأنّ العذراء كلّفتها بتبليغها وإذاعتها: «**تذكّري أقوالي أمعني في ترديدها. ولتقوّكِ وتعزّك في المِحَن**».

كم كانت «إيستيل» بحاجةٍ إلى سماع هذه الأقوال قبل أن تنطق العذراء بالقول الصارم: «**لن تريني بعد الآن**»! وتفجّرت، من نفس الفتاة، صرخةٌ وجيعةٌ: «ما الذي سيحلّ بي، بمنأًى عنك، يا أُمّي العطوف؟!». ولكنّ الأمّ السماويّة سارعت إلى تسكين روعها: «**سأكون إلى جانبك، على نحوٍ غير مرئيٍّ**». أجل سيكون لها حضورٌ دائمٌ، غير مرئيٍّ، مغلّفٌ بصمت الله، غير أنّه حضورٌ أموميٌّ، ساهرٌ، معينٌ، متجّددٌ دائمًا.

حينئذٍ، خطرت «لإيستيل» رؤيا نبويّةٌ مخيفةٌ، منذرةً بما ستتعرّض له من مِحَن، إذ رأت جمعًا غاضبًا يهدّدها. ولكنّ بسمة العذراء بدّدت الخوف الذي اعتراها، وسكّن روعَها قولُها لها: «**لا تخشَي من هؤلاء شيئًا**»، مذكّرةً إيّاها بأنّها اختارتها لتذيع مجدها، ولتكون أداة تعميم تكريم القلب الأقدس. ولم تنسَ «إيستيل» قطُّ، تلك اللحظة الفريدة، وهي ممسكةٌ بيديها كتفيّة قلب يسوع: «**آه! كم كانت جميلةً، وكم كانت الكتفيّة، التي تمسكها برقّةٍ، جميلةً!**».

كان تأثّر «إيستيل» بهذا الجمال، بحيث تجرّأت والتمست من العذراء أن تتكرّم وتهبها الكتفيّة. بادئ الأمر، بدت العذراء وكأنّها لم تسمع طلبها. ثمّ ابتسمت لها بسمة أُمٍّ لا يهون عليها كدر ابنتها، وقالت لها: «**ترين جيّدًا أنّني لا أستطيع أن أهبك إيّاها**» ولكنّها أضافت مبتسمةً «**انهضي وقبّليها**» وانحنت العذراء كي تتيح لابنتها تقبيل رسم قلب ابنها الإلهيّ، قبلةً أفعمتها سعادةً وعذوبةً.

تكليف «إيستيل» برسالة:

بعد أن أضرمت العذراء قلب «إيستيل» حبًّا لقلب ابنها، انتدبتها لمهمّة نشر تكريم هذا القلب، وقالت لها: «**ستشخصين بنفسك إلى الأسقف، وستعرضين له نموذج الكتفيّة التي صنعتها. واطلبي منه أن يساعدك بكلّ طاقته، فليس شيءٌ أعذب لي من رؤية هذا الزيّ على كلٍّ من أبنائي**».

وكان الأسقف المقصود على التوالي: مطران «بورج»، ثمّ البابا لاون الثالث عشر. فقد حرصت العذراء على أن يتمّ كلّ شيءٍ بواسطة رعاة كنيستها. وقد رحّب المطران بطلب العذراء، من خلال «إيستيل»، وأبدى أطيب استعدادٍ لتلبية طلبها، واستقبَلها قداسة البابا لاون الثالث عشر، استقبالاً خاصًّا، ورخّص للكنيسة جمعاء بممارسة تكريم كتفيّة قلب يسوع، بموجب قرارٍ صدر في ١٩٠٠/٤/٤

وكانت العذراء قد أظهرت فيض النعم التي تغدقها على

الذين يكرّمون رمز قلب ابنها، مؤكّدةً: **انظري النعم التي أسكبها على الذين يرتدون هذه الكتفيّة، بثقةٍ، والذين يساعدونك في نشر تكريم قلب يسوع**». وتكمل «إيستيل» رؤيتها فتقول: «عندما تلفّظت العذراء بهذا القول، مدّت يديها، فانهمر منهما مطرٌ غريزٌ، وبدا لي أنّني كنت أقرأ، في كلّ قطرةٍ، اسم نعمةٍ: التقوى، الخلاص، الثقة، التوبة، الصحّة....» ثمّ أضافت قولها: «**هذه النعم آتيةٌ من ابني. أنا أستمدّها من قلبه، وهو لا يستطيع أن يمنعها عنّي**».

وعن وداع العذراء لها، كتبت «إيستيل»: «كنت أشعر أنّ هذه الأمّ الحنون ستغادرني، فتكدّرت، وكانت لا تزال ترمقني، فقالت لي: «**تشجّعي، إن لم يستطع (الأسقف) تلبية طلباتك، وإن برزت عقباتٌ، ستتابعين طريقك. ولا تخشي شيئًا. فأنا سأعينك**».

وقبل انصرافها، توقّفت العذراء، هنيهةً، في الموقع الذي كان يستقرّ فيه سرير «إيستيل» المحتضرة، مذكّرةً إيّاها بنعمة قيامتها، وبقدرات ابنها.

وتخطّت «إيستيل» غمّ الفراق، فعبّرت عن شكرها وعن عزمها بقولها:

«شكرًا، يا أمّي الحنون، لن أفعل شيئًا بمعزلٍ عنك».

كانت موقنةً أنّها، وإن لم ترَها، فستسمع صوتها في قلبها، وستظلّ أقوالها، التي انحفرت في أعماقها، تواكبها وتنير دربها، ووجّهت لها هذه الصلاة المتفجّرة من قرارة نفسها: «**يا أمّي الحنون؛ ساعديني كي أظلّ مصغيةً لصوتك، وكي لا أحيد عن الدرب الذي رسمتِه لي. أنت قلتِ لي: «سأساعدك»، وأنا أعتمد عليك، واثقةً بأنّكِ لن تتخلّي عنّي**».

دلائل مصداقيّة – ورسالة

لدى «إيستيل»، توازنٌ تامٌّ، وصدقٌ لا غبار عليه، وتفانٍ ومحبّةٌ، بلا حدودٍ، للفقراء ولذويها المعوزين، من جرّاء مرض والدها؛ شفاؤها الذي أدهش عباقرة الطبّ، وعيشها ٥٤ سنةً بعد شفائها (شُفيت وهي في سنّ ٣٢ وتوفّيت في

سنّ ٨٦)، وضاعتها، وتواضعها، وثقتها باللّه وبالأمّ السماويّة، تقواها المستنيرة. لهذه الأسباب اختارتها أمّ اللّه وانتدبتها لإذاعة مجدها.

في ظهوراتٍ أُخرى تجلّت العذراء فوق صخورٍ أو أشجارٍ كي تعلن عقائد، أمّا في «پلّڤوزان»، فقد تحقّقت كلّ ظهوراتها داخل غرفة محتضرةٍ، كي تظهر أنّها تهتمّ بشؤوننا الحياتيّة، لأنّها أمٌّ، مجدّدةً تقديس حياتنا الذي نلناه بالعماد.

من أكثر ما يميّز هذه الظهورات كتفيّة قلب يسوع التي تشدّد على اتّحاد العذراء بقلب المصلوب، هذا القلب الذي افتدى بدمه البشر، وبثّ فيهم الحياة. وعلى كلّ مسيحيٍّ أن يتعلّم من هذا القلب الرقّة، والعمق، وبطولة الحبّ.

وقد دأبت الأمّ السماويّة على ترسيخ، في نفس «إيستيل»، ومن خلالها، في نفس كلٍّ منّا، فضائل مسيحيّةٍ أساسيّةٍ، أهمّها:

– سكون النفس، والشجاعة، أي التغلّب على الخوف؛ الصبر، الثقة باللّه، والخضوع لمشيئته.

– إظهار حبّ اللّه في حياتنا، ولاسيّما من خلال رمز قلب يسوع.

– الصلاة للحصول على كنوز ابن اللّه المفتوحة منذ القديم، تلاوة الورديّة بكلّ أوتار النفس.

– الصمت الذي يعني السيطرة على المخيّلة والمشاعر، في سبيل الإصغاء إلى كلام اللّه.

– الفقر الإنجيليّ والتواضع، والبساطة. هذه الفضائل دفعت السماء إلى اختيار «إيستيل» وأمثالها.

– استغلال الوقت للعمل على نشر ملكوت اللّه، بالوسائل المتاحة لكلّ مسيحيٍّ.

– التحوّل، تدريجيًّا، على غرار العذراء، إلى صورة يسوع، وبمعونة العذراء، التي تمطر يداها نعمًا. وهكذا نُصلب، ونموت، ونقوم مع المسيح، ومثله.

موقف أُسرة «لاروشفوكو»

منذ بدء الظاهرة، طمع آل «لاروشفوكو» في استغلال

الحدث الذي جرى لمستخدَمةٍ لديهم، وفي مسكنٍ يخصّهم، من أجل اقتناص المزيد من الاعتبار الاجتماعيّ والنفوذ. وسعت الكونتيسة لاروشفوكو إلى ترسيخ الاعتقاد لدى الجميع أنّ العذراء ظهرت في بيتٍ يخصّ أسرتها، وشفت مستخدَمةً لديهم، إكرامًا لهم، ومكافأةً لهم على إيمانهم وورعهم. وحاولت التحكّم بمصير مكان الظهورات، وبمصير «إيستيل»، والاستئثار بالظهورات وتأويلها لمصلحة أُسرتها.

وتواطأت الكونتيسة مع الأُسقف على تحويل غرفة الظهورات إلى مصلًّى عائليٍّ خاصٍّ، ووقفه على أفراد الأسرة وضيوفها، ومنع الحجّاج من ارتياده، فالمكان هو ملك الأسرة، وهم أحرارٌ باستعماله كما يحلو لهم.

ولكنّ «إيستيل»، الحريصة على تنفيذ مشيئة العذراء، أبت السير في ركب مستخدِمتها، وعارضت مشاريعها، فقلبت الكونتيسة لها ظهر المجنّ. وفي مسعًى لإبعادها عن مكان الظهورات، أسكنت فيه أصدقاء لها دأبوا على مضايقة ذوي «إيستيل»، وإهانتهم بشتّى الأساليب.

واشتدّت مقاومة الكونتيسة لإيستيل، بعد أن تبيّنت إصرارها على الوفاء للعذراء ولرسالتها، ونهوضها سدًّا منيعًا في وجه مستخدِمتها الساعية إلى احتكار الظاهرة، وتزوير أهدافها. ولكن لم تعجز الكونتيسة عن استغلال «إيستيل» في سبيل تأكيد مزاعمها الزائفة فحسب، بل هي عجزت أيضًا عن إخراسها.

وزاد الوضع تعقيدًا رفضُ «إيستيل» خياطة ثيابٍ غير محتشمةٍ لبنات الكونتيسة، كي يرتدينَها في حفلاتٍ راقصةٍ.

كانت الكونتيسة تدّعي، أمام الجميع، أنّ كلّ ما تفعله إنّما تفعله بموافقة الأسقف، وبالاتّفاق معه. ولكنّ «إيستيل» التي لم يُخفِْها هذا الادّعاء، ما انفكّت تؤكّد لها أنّها، وإن هي كانت مالكة مكان الظهورات، إلاّ أنّها لا تمتلك نفس مستخدَمتها، ولا سلطة لها على العذراء.

وإمعانًا في محاولة ترويض «إيستيل»، شجّعت الكونتيسة خَدمًا على ضربها وإذلالها؛ ومنعتها من ارتياد الكنيسة للصلاة، وحجبت عنها كلّ ما كانت تستسيغه، والهنات التي

كانت تدلّل بها ابنة أُختها. وجهدت في عزلها عن معرّفها، الأب سلمون، الذي كان يوفّر لها بعض الدعم، وفي فرض معرِّفٍ آخر أكثر تواطؤًا معها، وأمسكت بناتُ الكونتيسة عن مكالمتها.

وفي نهاية عام ١٨٧٨، اعتلّت الكونتيسة لاروشفوكو، وتوسّمت في هذه الوعكة عقابًا إلهيًّا، بسبب موقفها المعادي من «إيستيل»، والأنانيّ حيال الظاهرة، وبما أنّ تحقيقًا كنسيًّا ثانيًا كان جاريًا، حينذاك، فقد أدلت بشهادةٍ إيجابيّةٍ عن «إيستيل»، واعترفت بالكرامات الاستثنائيّة التي نعمت بها تلك الفتاة المختارة.

في اليوم الأخير من عام ١٨٧٩ فجعت «إيستيل» بوفاة والدها، ولكنّ آل «لاروشفوكو» توسّموا في تلك الوفاة سانحةً لطرد ذوي إيستيل من المنزل الذي أعاروه لهم نظرًا لوضع الوالد الصحيّ، غير أنّ ظروفًا متشابكةً، وخوفهم من أن يقال إنّهم استغلّوا محنة «إيستيل» كي يشرّدوها، حدت بهم إلى إرجاء تنفيذ انتقامهم.

وأخيرًا، أعفت الكونتيسة لاروشفوكو «إيستيل» من خدمتها، ولكنّها، حرصًا منها على صورة الشهامة التي كانت تحبّ أن تتظاهر بها، سمحت لخادمتها السابقة بالبقاء مؤقّتًا في المسكن المعار لها ولذويها، ووجدت «إيستيل» في إعفائها من الخدمة مفترجًا، لأنّ الحياة التي كانت تُكرَه على انتهاجها في قصر لاروشفوكو كانت تتعارض مع الرسالة التي انتدُبت لها. لا ريب أنّ تحرّرها من واجبات الخدمة، أتاح لها الانصراف، بمزيدٍ من الحرّيّة، إلى خدمة رسالة العذراء، ولكنّه، بالمقابل، زاد وضعها المادّيّ هشاشةً. ولا مفرّ، في هذا الشأن، من التنويه بأنّها لم تستمرئ، قطّ، حياة الرفاه، وآثرت، دائمًا، بساطة العيش التي وجّهتها صوبها المعلّمة السماويّة، وقد سهر معرّفها على ألاّ تفتقر إلى مقوّمات العيش الأساسيّة، كما أنّ دوقةً نسيبةً للكونتيسة لاروشفوكو تولّت إنقاذها مادّيًا، كلّما وقعت في عَوَزٍ. ومع ذلك لم تنجُ من تهمة سَوق حياة ترفٍ، في سياق حملة الاضطهاد التي تعرّضت لها، لاحقًا.

وفي هذه الأثناء كانت الكونتيسة لاروشفوكو الحالمة بطرد

«إيستيل»، تنتظر وفاة والدتها لتحقّق هذا الحلم. ولكي تموّه عملها هذا بدافع تقويٍّ، انتسبت، عام ١٨٨٣، إلى الرهبانيّة الدومينيكيّة الثالثة، وخطّطت لمجيءِ راهباتٍ دومينيكيّاتٍ يحتللنَ موقع الظهورات، بحيث يوقف المكان عليهنّ، وعلى أصدقاء آل لاروشفوكو.

ولطالما جهرت «إيستيل» بمعارضة هذا المخطّط الذي يتعارض مع إرادة العذراء جعْل المكان الذي ظهرت فيه مزارًا مشرعًا لكلّ راغبٍ في تكريم قلب يسوع الأقدس، ويستطيع أن يؤمّه، في أيّة ساعةٍ من الليل أو النهار، كلّ مؤمنٍ تحدوه دوافع العبادة، والتوبة، والتكفير عن الخطايا التي تجرح قلب الفادي.

ولكن، سبق تحقيق هذا المشروع أمرٌ إداريٌّ منع إشراع مزار الظهورات للجمهور، وحظر إقامة القداديس فيه، بحجّة أنّ هذا الاستخدام لم يحظَ بأيّ ترخيصٍ مسبّقٍ. وكان لهذا القرار مثل وقع القنبلة، مع أنّ العذراء، في ظهوراتها، كانت قد توقّعت مثل هذه المقاومة والمناوأة. والتمس أنصار الظاهرة

مساعدة الأسقف، ولكنّ هذا الأخير ارتأى الامتناع عن مقاومة السلطات التي قد تؤتي تبعاتٍ أدهى تسيء إلى الكنيسة جمعاء، وآثر انتظار عبور العاصفة. ومضى عمدة المحلّة، –وهو الكونت لاروشفوكو نفسه– إلى أبعد ممّا طُلِب منه، فقرّر إغلاق المصلّى، وأمر «إيستيل» أن تغلقه بيدها، فأبت لأنّ ذلك يتعارض مع الرسالة التي كُلّفت بها. وأسهمت خشية الكونتيسة لاروشفوكو من «كلام الناس»، ومن اتّهامها بمحاربة ظاهرةٍ سماويّةٍ آمن بها كثيرون، وأيّدتها أطرافٌ كنسيّةٌ عديدةٌ، في تمييع القضيّة، فلم يُغلَق المزار، ولا اتّخذت السلطات المدنيّة أيّ تدبيرٍ زجريٍّ. غير أنّ حركة الحجّ، فعليًّا، تعطّلت.

وتجاهلت «إيستيل» القرار الإداريّ، وظلّت تؤمّ المزار بصحبة الحجّاج القادمين بدافعٍ إيمانيٍّ، ما أثار حفيظة الكونت العمدة. ولكنّها أجابته أنّ المزار مفتوحٌ، ولا يسعها منع الراغبين في الصلاة، من اجتيازه، وإلاّ فما عليه إلاّ أن يغلقه بنفسه، ويحتفظ بمفتاحه. وأخذ الحرج بالكونت بحيث هدّد بطرد «إيستيل» وأُسرتها، ولكنّه سرعان ما تراجع،

وطلب منها تسوية الأمر مع الكونتيسة، وفي نهاية المطاف، أُغلق باب البناء الخارجيّ، وظلّ باب المزار مفتوحًا.

في هذه الأزمة بدا الجميع: الحاكم، والعمدة الكونت، ورجال الكنيسة، متردّدين، متأرجحين. ووحدها «إيستيل» ظلّت ثابتةً، صامدةً، غير هيّابةٍ، وهذا ما دفع النشرة الدينيّة الأسبوعيّة في مدينة «بورج» إلى الكتابة بتاريخ ١٨٨٧/٩/٣: «هناك ملاحظةٌ تبعث العزاء، ولاسيّما أنّها تظهر علنًا، وهي استمرار الصلاة في «بلّقوازان». وفي الصلاة القائمة على إرادة التكفير عن الخطايا، يقوم الرجاء في أيّامٍ فُضلى للكنيسة، ولبلدنا المسكين».

وقد أطاحت وفاة الكونت «أرتور لاروشفوكو» بالعنصر الأوفر اعتدالاً في تلك الأُسرة، وشحذت عداوة سائر أعضائها حيال «إيستيل» والأب سلمون.

لقد أضحت الرائية نهبًا بين تيّارين: تيّار الكونتيسة وتيّار مرشدها الروحيّ الأب «سلمون»، إذ كان كلٌّ منهما يسعى إلى دفع الحدث إلى المنحى الذي يؤمن به أو يخدم

مصلحته. وأدّى هذا التنافس إلى منع «إيستيل» من مراسلة أيٍّ كان إلاّ بموافقة كلٍّ من الكونتيسة والكاهن. وهي كانت، من تلقاء ذاتها، تحجم عن التحدّث عن الظاهرة إلاّ إلى المكلّفين باستجوابها أو الراغبين في الاطّلاع على مطالب العذراء. غير أنّها، منذ عام ١٨٨٨، نعمت بحرّيّة الكتابة والتحدّث، فحرصت على الذود عن أصالة الرسالة التي انتُدبت لها، وتحريرها من كلّ التأويلات الزائفة التي حاول آخرون إسباغها عليها.

ومنذ نهاية عام ١٨٩٢، تراخت الضغوط على الظاهرة، إثر تحسّن العلاقات بين الكنيسة والدولة، ثمّ إثر تعيين أُسقفٍ جديدٍ هو «مونسينيور بويّيه»، (BOYER) الذي كان أكثر دعمًا لظاهرة «پلّڤوزان». غير أنّ موقف الكونتيسة من «إيستيل»، لم يشهد أيّ تحسّنٍ. فما إن توفّيت والدة «إيستيل»، في ٤/٢٩/ ١٨٩٣، حتّى سارعت الكونتيسة إلى إقناع السلطات الكنسيّة بتحويل موقع الظهورات إلى ديرٍ لراهباتٍ بينيدكتيّاتٍ، سرعان ما ضقنَ ذرعًا بتسلّط الكونتيسة لاروشفوكو عليهنّ، إذ سعت إلى تعيين راهبةٍ صديقةٍ لها

رئيسةً عليهنّ. ولكنّ هذه الرئيسة لم تستسغ العيش في «بلّڤوزان»، فغادرتها، بعد أربعة أيّام من إقامتها فيها. وفضلاً عن ذلك، اختصّت الكونتيسة بأحد أجنحة البناء، وأسكنت فيه موالين وأصدقاء لها، فأفسدت حياة الراهبات المحصّنات.

وفي الواقع كان همّ أُسرة لاروشفوكو استعادة سيطرتهم على بناء الظهورات متذرّعةً بحجّة دعواتٍ رهبانيّةٍ زائفةٍ، توفّر لهم مظاهر التقوى التي كانت تتموّه بها، أمام الرأي العامّ. وفي الواقع، أضحت تلك الأسرة صليبًا للراهبات البينيدكتيّات، ولإيستيل التي خُيّرت بين هجر «بلّڤوزان» أو الانضمام إلى الرهبنة البينيدكتيّة، ومن ثمّ التزام الصمت حول محاولات حرف الظاهرة عن أهدافها.

لم تُطِق «إيستيل» البعاد عن المكان الذي أكرمتها الأمّ السماويّة بالظهور لها فيه. ولم تحتمل التغاضي عن كلّ ما من شأنه تحريف معنى تلك الظهورات. فصمدت، وتمكّنت من المكوث في ذلك المكان حيث كان عليها أن تتجرّع، كلّ يومٍ، غُصصًا. فقد حُشرت في مكانٍ ضنكٍ، بعد أن ضاق

المسكن الصغير بالراهبات الأربع اللواتي أُكرهنَ على احتلاله، محرومةً من ضروريّات العيش الأساسيّة وخاضعةً لمراقبةٍ مذلّةٍ. وقد وصفت وضعها هذا بوضع عصفورٍ في قفصٍ. ومع ذلك كانت تجد عزاءً في إقامتها حيث زارتها العذراء، وكلّمتها، وشفتها.

وشهد عام ١٨٩٤ احتدام الخلافات والضغائن، واتّخذت الكونتيسة من «إيستيل» موقف عداءٍ صريحٍ. وفي شهر أيّار ١٨٩٥ طردتها من المسكن الذي كانت تعيره لها ولذويها. ولكي لا يقال إنّها رمتها في الشارع، أسكنتها غرفةً ضنكةً مطلّةً على الشارع، في بناءٍ خارجيٍّ محاذٍ لمنزل الظهورات، فأصبحت موضع تلصّص المارّة، وشتائمهم المهينة.

وكلّفت الكونتيسة كاهنًا جاءت به مرشدًا للراهبات – بغيةَ إبعاد الأب سلمون الذي كان يناهض تدابيرها المخالفة لإرادة العذراء – بمراقبة «إيستيل»، وترصّد كلّ ما قد يمثّل ممسَكًا عليها، ومطعَنًا لتشويه صورتها أمام الأسقف والجمهور.

عام ١٨٩٦، كانت «إيستيل» قد عُزلت عن موقع

الأب «سلمون» كاهن رعيّة بلّقوازان

«إيستيلّ» في الثمانين من عمرها

الظهورات، وأُقصيت عن أُسرة لاروشفوكو، وباتت تستجدي ما يُقيم أودها، ولكنّها ظلّت عازمةً على خدمة الرسالة التي كُلّفت بها، وعلى حمايتها من كلّ تشويهٍ، متحمّلةً، في هذا السبيل، أقصى التضحيات، في حين كانت الكونتيسة «لاروشفوكو» تتحكّم بالدخول إلى المصلّى، فترحّب بمن تشاء، وتغلقه في وجه من لا يروق لها وجوده.

موقف الكنيسة من الظاهرة

كان الأسقف «دي لاتور دوڤيريتي» قد ألّف لجنتَيْ تحقيقٍ، نظرت الأولى، عام ١٨٧٧، في مرض «إيستيل فاغيت» وشفائها المعجز، وأصدرت بهذا الشأن تقريرًا إيجابيًّا. ثمّ ألّف لجنةً أُخرى، عام ١٨٧٨، كي تنظر في شأن الظهورات، ولكنّ وفاته المفاجئة، في ١٨٧٩/٩/١٧، قد حالت دون إصدار أيّ قرارٍ بشأن التحقيقَيْن. وكان البابا بيّوس التاسع قد وافق على تكريم كتفيّة قلب يسوع وعلى إنشاء أخويّةٍ باسم «سيّدة پلّڤوزان»، اتّخذت شعارًا لها «كتفيّة» سيّدة پلّڤوزان، رقّاها، لاحقًا، الأب الأقدس إلى رتبة «جمعيّة مركزيّة».

وأسّس كاهن الرعيّة، الأَب سلمون، نشرةً تذيع أخبار الأخويّة وأخبار ظهورات پلّڤوزان، سرعان ما اكتسبت بعدًا عالميًّا، وقفز عدد المنتسبين إليها، عام ١٨٩٧، إلى مئتين وثمانية وثمانين ألف عضوٍ، منهم أكثر من مئتين وستّين ألف عضوٍ في أوروبّا، وتوزّع الآخرون بين آسيا وأفريقيا وأميركا وأوقيانيا.

منذ البدء أظهر الأسقف اهتمامًا مندفعًا بالظاهرة، ولاسيّما بشفاء «إيستيل» العجيب، وسمح للأب سلمون بالتحدّث عن الظاهرة علنًا من منبر الكنيسة، على أن يلتزم بالتحفّظ الذي تقتضيه الكنيسة، في مثل هذه الحالات، موضحًا أنّ السلطات الكنسيّة لم تتّخذ، بعدُ، قرارًا بشأن الظاهرة، وهكذا، يحتفظ الأسقف بمخرجٍ مشرّفٍ، من كلّ أزمةٍ قد تنشأ مستقبلاً.

غير أنّ موقف الأسقف، آنذاك، شابه الكثير من مواطن الخَلل، فهو لم يهتمّ بالتمحيص في قضيّة الظهورات وفي رسائل العذراء ورغباتها الجوهريّة، وأَلِف استقاء معلوماته من

الكونتيسة لاروشفوكو، التي كان يعقد معها علاقاتٍ اجتماعيّةً مميّزةً، ومن ثمّ كان يتأثّر بآرائها ونزعاتها، ولم يُقِمْ أيّة علاقةٍ مباشرةٍ مع كاهن الرعيّة الأب سلمون، بل كانت كلّ اتصالاتهما المتبادلة تتمّ من خلال النائب الأسقفيّ العامّ. وظلّ الأسقف يتجاهل الرائية «إيستيل»، إلى أن اتّخذت، هي، مبادرة مقابلته في ١٨٧٦/١٢/١٠. وكان لا بدّ لها من موافقة مستخدِمتها الكونتيسة، التي خشيت من قدرة «إيستيل» على إقناع الأسقف بوجهة نظرها النابعة من إرادة العذراء، فحرصت على مرافقتها. غير أنّ الأسقف نزل عند رغبة «إيستيل»، واستقبلها في مكتبه، على انفرادٍ، ما مكّنها من التحدّث بحرّيّةٍ، فروت له كلّ أقوال العذراء، وبسطت بين يديه كلّ رغبات الأمّ السماويّة، فأبدى عزمه على فعل كلّ ما يسعه من أجل مجدها، غير أنّه، حتّى وفاته، ورغم تأييده للظاهرة، لم يسعَ، يومًا، إلى اكتناه رسالتها الجوهريّة، وأبعادها الروحيّة، واقتصر على استغلالها من أجل إذكاء روح التديّن في مواجهة الهجمة الإلحاديّة المستشرية، جاهدًا في تشجيع الحجّ وتنميته. بالإجمال، وجّه سعيه إلى وقع الحدث

أكثر من سعيه إلى التمعّن في أهدافه، وتنفيذ رغبات العذراء. وكاد لا يحيد عن آراء الكونتيسة لاروشفوكو، ولا يتوانى عن تلبية رغباتها.

ولكنّه، في أعقاب مقابلته للرائية واستماعه إليها، أبدى رغبةً صادقةً في الحصول على اعترافٍ كنسيٍّ رسميٍّ بمجمل الظاهرة. وبعد أن أكّدت لجنة التحقيق الأولى شفاء «إيستيل» العجيب، ألّف لجنةً ثانيةً للنظر في صحّة الظهورات. وكان عدد الشهود الذين عاينوا انخطافات «إيستيل»، في أثناء الظهور الخامس عشر، فقط ستّة عشر شخصًا منهم كاهن الرعيّة، وكاهنٌ آخر. غير أنّ عمل هذه اللجنة تعرّض لعرقلةٍ سبّبها احتدام الخلاف الناشب بين كاهن الرعيّة، الحريص على إبراز إرادة العذراء وإبقاء الظاهرة كنسيّة الطابع والانتساب، والكونتيسة لاروشفوكو الساعية إلى استغلال الظاهرة لمصلحة أُسرتها. وقد سعّر حرارة هذا الخلاف انحياز الأسقف إلى جانب الكونتيسة، التي لم تتورّع من الإعلان على مسمع الجميع أنّ التحقيق الثاني لن يتمّ، وأنّ القضيّة قد طويت.

وقد عبّرالأب سلمون عن خشيته من مغبّات هذا التدخّل فكتب إلى النائب الأسقفيّ، في ١٨٧٨/١١/١٤، رسالةً جاء فيها:

«إنّ توقّف التحقيق في منتصف الطريق، سيُعَدّ خشيةً من المضيّ فيه قُدُمًا، أو، ربّما، ندمًا على ما تمّ من تقدّمٍ فيه. إنّ ما قالته وكتبته مؤخّرًا السيّدة لاروشفوكو في باريس وفي أماكن أُخرى، مؤكِّدةً أنّ موضوع التحقيق لم يعد موضع بحثٍ، سيكون له أسوأ أثرٍ. أنتم أنفسكم تؤكّدون أنّ لا أحد يشكّ في حقيقة الظهورات. فعلامَ لا يثبَّت ذلك بوضوحٍ، ولا يُجلى كلّ النور حول هذه الظواهر المجيدة للرعيّة، النور الذي سينبعث من تحقيقٍ كنسيٍّ نظاميٍّ. إنّي أَشهد، من جهةٍ، تبجّح أسرة لاروشفوكو، بأنّ هذا التحقيق لن يتمّ، وأنتم تعلمون أنّ دافعها ليس مجد الله، ومن جهةٍ أُخرى، جميع الذين ينتظرون هذا التحقيق من أجل تمجيد سيّدة «بلّڤوزان».

من جرّاء هذا التصارع عُطّل التحقيق الثاني، وأدّت وفاة

الأسقف المفاجئة إلى تعليق ملفّ القضيّة بأكمله إلى أجلٍ غير معلومٍ، في حين كان على وشك بلوغ نهايةٍ سعيدةٍ. ولم يطرأ أيُّ تبدّلٍ في موقف الكنيسة المتمثّل في تشجيع الحجّ وتنميته، المتزامن مع الإحجام عن الاعتراف الرسميّ بالظهورات، والالتزام برسالة العذراء في «پلّڤوزان»، في عهد خَلَفَي الأسقف الراحل، الأسقفين «مارشال» (MARCHAL) و«بويّيه» (BOYER).

وقد اتّفق، في تلك الفترة، أنّ امرأةً في رعيّة «بورج» ادّعت ظهوراتٍ سرعان ما تبيّن زيفها، فزرع هذا الحدث الريبة، ومزيدًا من الحذر، في نفس الأسقف «مارشال» الذي أوجز موقفه بقوله: «إن طُلِب منّي إبداء رأيي، لقلت إنّي أميل إلى اعتبار الشفاء (شفاء إيستيل) معجزًا، ولكنّني أشكّ في حقيقة الظهورات، وإنّ ما يحدث، حتّى اليوم، في «پلّڤوزان» يبدو حافزًا للتقوى ولتكريم العذراء القدّيسة». تصريحٌ أقلّ ما يمكن وصفه به أنّه بعيدٌ عن المنطق. فهل يُعقل أن تنعم بقيامةٍ من موتٍ شبه محتومٍ، فتاةٌ تختلق أكاذيب عن ظهوراتٍ وهميّةٍ، وعن رسائل زائفةٍ، تضليلاً للمؤمنين،

مع اعتبار أنّ هذه الظهورات والرسائل أنتجت تحوّلاً روحيًّا رائعًا لدى كثيرين؟! ولكن يبدو أنّ الأسقف مارشال توجّس خطرًا ما في الاعتراف بالظهورات فآثر تفاديه، والاكتفاء بتشجيع طقوسٍ تقويّة لا تتعارض مع العقيدة المسيحيّة، محجمًا عن قرارٍ قد يندم عليه، يومًا.

وكان موقفه منسجمًا مع هذا المنطق، يوم أوعزت السلطات المدنيّة بإغلاق المزار في وجه الجمهور، فطلب من كاهن الرعيّة الامتناع عن المقاومة، ريثما تمرّ العاصفة، تفاديًا لعواقب وبيلةٍ.

وبذلك رسم الأسقف مارشال لخلفائه خريطة طريقٍ تقوم على إبقاء ظاهرة «پلّڤوزان» حيّةً، طالما أمكن ذلك، ومحاولة تشجيع الحجّ إلى المزار مع الإحجام عن أيّة خطوةٍ بشأن الظهورات ورسائلها، فقد تكون المقاومة مبرّرةً عندما يمسّ الاضطهاد جوهر الكنيسة والإيمان. أمّا ظاهرة «پلّڤوزان»، ورسالتها المريميّة، فلا تستأهل الصدام مع السلطات المدنيّة!

وبالإجمال كان موقف المطران «مارشال» من الظاهرة

مائعًا، لا بل سلبيًّا بشأن الظهورات وما حملته من رسائل مريميّةٍ.

وما انفكّ التنافس الذي اتّخذ، غالبًا، شكل صدامٍ، من جهةٍ بين «إيستيل» التي كانت حريصةً على أن تظلّ الظاهرة ملك الجميع، كما أرادتها العذراء، وكاهن الرعيّة الذي ابتغى أن يجعل منها شأنًا كنسيًّا، ومن جهةٍ أُخرى، الكونتيسة لاروشفوكو التي حاولت تجيير الظاهرة لأسرتها، والكاهن اليسوعيّ المعزّم «هازا» الذي أراد استخدام كتفيّة قلب يسوع أداةً لطرد الشياطين في حين أرادتها العذراء أداة توبةٍ وتكفيرٍ عن الخطايا التي تجرح قلب ابنها، والذي سعى إلى تحويل موقع الظهورات الذي كان قد أصبح مصلًّى، إلى مركزٍ لرهبنةٍ أنشأها برئاسة امرأةٍ سبق له أن طرد منها شيطانًا، وسرعان ما افتُضِح أمرها.

وللتخلّص من «إيستيل» التي كانت تفشّل مشاريعها الأنانيّة، سعت الكونتيسة إلى إبعادها عن المكان الذي ظهرت لها فيه العذراء وشفتها، والذي كانت قد أتاحت

لذويها استخدامه، فأسكنت فيه أصدقاء لها عمدوا على مضايقة ذوي «إيستيل»، بشتّى الأساليب، وتواطأت مع الأب «هازا» على ضمّها إلى الرهبنة الزائفة التي أشرنا إليها، والتي كانت ترى فيها «إيستيل» عملاً شيطانيًّا.

وكان موقف السلطات الكنسيّة العليا انعكاسًا لموقف الأُسقف. فعندما قدّم البابا لاون الثالث عشر شمعةً لرعيّة «پلّڤوزان» استقبلها المؤمنون باحتفالٍ عارمٍ، وخُيّل إلى مناصري الظاهرة، الجاهدين في تنمية الحجّ إلى المزار أنّ تلك المبادرة هي بمثابة اعترافٍ ضمنيٍّ بمصداقيّة الظاهرة، في حين لم تُبدِ روما أيّ اهتمامٍ جدّيٍّ بالظهورات وبرسائل العذراء.

توفّي الأُسقف «مارشال» في شهر أيّار ١٨٩٢، وانتهج نهجه خَلَفه الأُسقف «بواييه» الذي أيّد مخطّطًا مشبوهًا للكونتيسة «لاروشفوكو»، يقضي بتحويل مركز الظهورات إلى ديرٍ لراهباتٍ دومينيكيّاتٍ، في حين استشفّ كلٌّ من «إيستيل» والأب «سلمون»، القصد الماكر الكامن وراء هذه المبادرة، قصد خصخصة المزار، واحتكاره من خلال الراهبات.

ولم يقم الأسقف «بواييه» بأيّة خطوةٍ نحو الاعتراف بالظهورات، واستنباط التعاليم الروحيّة من صلب رسائل العذراء. غير أنّه، بتاريخ ١٨٩٤/٨/١٥ مهر بتوقيعه ترخيص إصدار نشرة أخويّة «بلّڤوزان» المركزيّة، التي يتولّى تحريرها الأب سلمون، ووافق، في ١٨٩٥/٨/٣٠، على نشر الدراسة التي أصدرها ذلك الكاهن عينه بعنوان «سيّدة بلّڤوزان».

وكان موقف البابا لاون الثالث عشر إيجابيًّا بالإجمال، ولكنّه لم يتطرّق إلى جوهر الظاهرة. ففي عام ١٨٩٣، تلقّى، بسرورٍ، تمثال سيّدة «بلّڤوزان من يد الأب سلمون، ورقّى أخويّة سيّدة بلّڤوزان، «الأمّ كلّيّة الرحمة»، إلى رتبة أخويّةٍ مركزيّةٍ، وهنّأ الأب سلمون على نشرة هذه الأخويّة.

وجديرٌ بالتنويه أنّ «إيستيل» كانت قد رأت، بالروح، البابا في ١٩٧٨/٢/٦ أي ثلاثة عشر يومًا قبل انتخابه حبرًا أعظم.

وفي هذه الأثناء، كان العديد من الأساقفة والكرادلة، من خارج مسؤولي الرعيّة، قد محّصوا الظاهرة، وأيقنوا

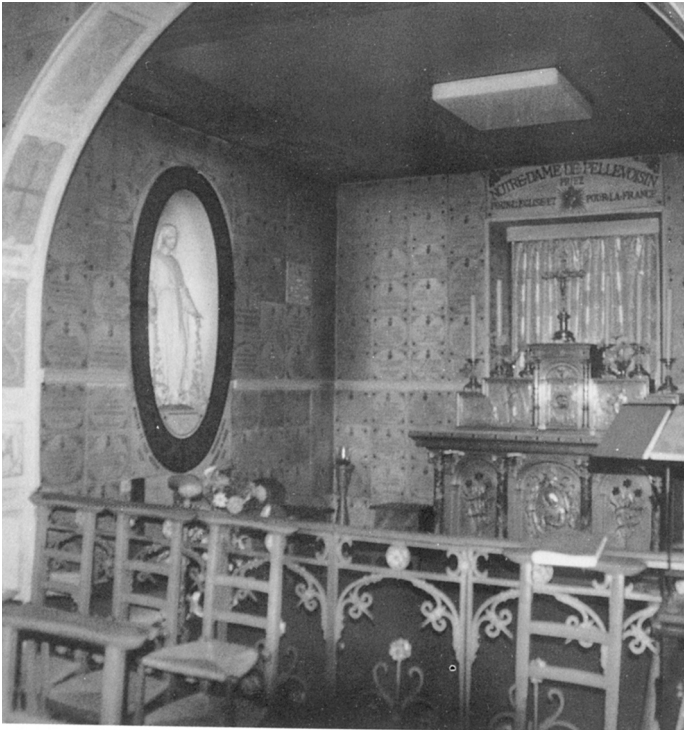

المصلّى المقام في موقع الظهورات

الرخامة، النذر، التي عبّرت بها إيستيل
عن شكرها لنيلها نعمة الشفاء التامّ

بمصداقيّتها، وحتّى عام ١٩٠٠، كانت الدوائر الڤاتيكانيّة ميّالةً إلى تأييد هذه المصداقيّة. وفي ذلك العام نفسه، رافق أسقف «أورليان» الرائية «إيستيل» إلى الڤاتيكان، حيث استجوبها البابا لاون الثالث عشر بنفسه، وتلقّى منها نموذج الكتفيّة التي صنعتها بيديها، والتي كان أحد وجهيْها يُظهر صورة الكتفيّة التي كانت العذراء ترتديها في ظهوراتها، وقد توسّطها قلب يسوع الأقدس، أحمر، مكلّلاً بالشوك، ينبعث منه لهبٌ ذهبيٌّ، ويبرز من وسطه صليبٌ صغيرٌ، فيما رُسمت، على الوجه الآخر، صورة العذراء كما ظهرت لإيستيل، محاطةً بباقة وردٍ جسيمةٍ، ويداها مبسوطتان تفيضان نِعَمًا، مع عبارة «الأمّ كلّيّة الرحمة»، وقول العذراء: «**أُحبّ هذه الممارسة التقويّة**». وقد وعد الأب الأقدس بتعميم هذه الكتفيّة، وبلّغ الدوائر الڤاتيكانيّة بتعليماته بهذا الشأن. ولكن، سرعان ما هبّ أصحاب المصالح الخاصّة لتحويل إرادة البابا في اتّجاهٍ آخر.

فقد خشيت جمعيّةٌ رهبانيّةٌ أُخرى كانت تروّج لكتفيّةٍ لا

علاقة لها بظاهرة «پلّڤوزان» أن تنتزع منها كتفيّةُ «إيستيل» التي وافق عليها الحبر الأعظم، مكانةَ كتفيّتها الخاصّة. فسارعت إلى التدخّل، وأفلحت في إستصدار قرارٍ ڤاتيكانيٍّ، بتاريخ ١٩٠٠/٥/١٩ يصادق على كتفيّةٍ خلت من كلّ إشارة إلى «پلّڤوزان»، واقتصر وجهها الآخر على عبارة «أمّ الرحمة»، مطيحًا بزخم التسمية التي أطلقتها العذراء على نفسها، أي «الأمّ كلّيّة الرحمة». وظلّت هذه الكتفيّة حكرًا على تلك الجمعيّة، في حين ابتغت العذراء الكتفيّة التي أظهرتها لإيستيل بمتناول الجميع.

في ١٨٩٥/١١/١٢ رُقّي الأُسقف «بويّيه» إلى رتبة كردينال، وظلّ يدعم مزار پلّڤوزان، ولكنّ هذا الدعم بقي جزئيًّا، ولم يَطَل جوهر الظاهرة. وعُيّن خلَفًا للكردينال «بوييه» الأُسقف «پيير سرڤونيه» (Mgr.P.SERVONNET) الذي سار، بادئ الأمر، في تيّار سلفه، وبدا مناصرًا للظاهرة، إذ كان يرتدي كتفيّة سيّدة «پلّڤوزان»، وكان أوّل أسقفٍ يرأس، بنفسه، حجّ أيلول السنويّ إلى «پلّڤوزان»،

ورقّى الأب «سلمون»، المناضل في سبيل الظاهرة، إلى رتبةٍ عليا، ما ولّد في نفوس مناصري الظاهرة، آمالاً برّاقةً في خطواتٍ متقدّمةٍ على طريق الاعتراف بها. ولكنّ سلسلةً من الظروف حوّلت الأسقف، لاحقًا، إلى أشرس مناوئٍ للظاهرة. ومن عوامل انقلابه عليها، أنّه، قبل ترقيته إلى رتبة الأسقفيّة، كان قد اعتنق، في السياسة، المنحنى الجمهوريّ، الذي لم يكن الكهنة المناصرون للظاهرة، يقاسمونه إيّاه، بل يعادونه، فأخذ، منهم ومن الظاهرة، موقفًا سلبيًّا.

ومن جانبٍ آخر، كان كاهنٌ يدعى الأب «بورون» (BOURON) قد بعث إليه برسالةٍ أخبره فيها أنّ «إيستيل» تمتلك سرًّا أودعتها إيّاه العذراء، كفيلاً، إن هو اطّلع عليه، بحمله على اتّخاذ موقفٍ إيجابيٍّ بشأن الظاهرة، ودعاه إلى استيضاحها عنه، وكان الكاهن المذكور قد أقدم على هذه المبادرة الشخصيّة، آملاً في خدمة الظاهرة، ولم يطلع عليها لا «إيستيل» ولا الأب سلمون.

وبالفعل استقبل الأسقف «إيستيل» وطلب منها أن تطلعه

على كلّ شيءٍ، ولكنّها لم تطلعه على السرّ المزعوم، فظنّ أنّها تخفي عنه أمورًا خطيرةً، فاغتاظ، وجاءت رسالة الأب «بورون» بنقيض ما توخّى مرسلها.

وكان الأسقف قد ألّف لجنة تحقيقٍ ثالثةً، بغية إصدار قرارٍ سلبيٍّ، ولكنّ روما حالت دون ذلك، وكان لمحاولته تلك أثرٌ وبيلٌ على مجمل الظاهرة، استمرّ حتّى بعد وفاة الأسقف في ١٨/١٠/١٩٩٩، إذ بدا للجميع أنّ السلطات الكنسيّة العليا غير راغبةٍ في تداول ظاهرة «پلّڤوزان». وقد بلّغ الأسقف «سيرڤونيه» الأب سلمون تعليمات روما بهذا الشأن، التي يمكن إيجازها في نقاطٍ ثلاثٍ:

١ – الإحجام عن إصدار أيّ حكمٍ بشأن وقائع الظاهرة، لا إيجابًا، لأنّ هذه الوقائع لم تثبت، أو ما زال يكتنفها بعض الشكوك، ولا سلبًا، لأنّ زيفها لم يثبت، فضلاً عمّا قد تولّده الإدانة من أضرارٍ روحيّةٍ لدى نفوسٍ ضعيفةٍ.

٢ – الحفاظ على طقوس تكريم العذراء، وتنمية الأخويّة المركزيّة القائمة في كنيسة پلّڤوزان، بكلّ الوسائل الممكنة،

ولكن بحذرٍ وبحرصٍ على سلامة العقيدة، وبغيرةٍ مستنيرةٍ.

٣ – السعي إلى طيّ ذكر الرائية والظهورات، شيئًا فشيئًا، بالإقلاع عن التحدّث عنها، أو بتناول موضوعها بحيطةٍ شديدةٍ، على اعتبارها أمورًا ثانويّةً بالقياس إلى ما تستحقّه السيّدة العذراء التي تدعوها الكنيسة «أمّ الرحمة».

هذا الموقف يظهر أنّ السلطات الكنسيّة، عوضًا عن اعتماد بحثٍ لاهوتيٍّ جدّيٍّ، لجأت إلى استراتيجيّةٍ فرضتها ظروفٌ سياسيّةٌ. وبذلك ارتكبت خطأً جسيمًا، إذ إنّها شجّعت الحجّ إلى المزار، وفي الآن عينه، فصلت الحجّ عن جذوره، بمحو آثار الظهورات، ووأد رسالة العذراء، وكان الحصادَ تضاؤلُ حركة الحجّ، وإضعاف الإيمان الشعبيّ.

وفي هذا السياق، انتُزعت من الأب سلمون إدارة تحرير نشرة الأخويّة المركزيّة، وجهد الأسقف «سيرڤونّيه» في إقناع المشتركين بها أنّ الأخويّة مستقلّةٌ عن ظاهرة «پلّڤوزان»، فتكاثرت طلبات إلغاء الاشتراك، بحيث لم يجد صاحب المطبعة أيّة جدوى في الاستمرار بنشرها.

وإمعانًا في تشويه الظاهرة شُنّت على الرائية «إيستيل» حملة افتراءٍ وتشهيرٍ دنيئةٌ مجرمةٌ، وأُشيعت تخرّصاتٌ وقحةٌ تدّعي أنّ مرضها المزعوم إنّما كان حَبَلاً سفاحًا، شفيت منه بوضع وليدةٍ من أبٍ مجهولٍ، يُعتقد أنّه كاهنٌ، في حين أثبتت تقارير أرفع الأطبّاء الفرنسيّين شهرةً وكفاءةً حقيقة المرض العضال الذين أشرفوا بأنفسهم على مراقبته، وأعلنوا عجزهم عن علاجه. ودحضًا لهذه الأكاذيب ارتضت «إيستيل» الخضوع لفحوص مُذلّةٍ، لدى طبيبَيْن شهيرَيْن أصدر كلٌّ مهما شهادةً تثبت عذريّتها.

وأشيع، أيضًا، أنّها وشقيقتها وأسرتها استغلّوا الظاهرة للاغتناء، وأنّهم يسوقون حياة ترفٍ، لا يُعرف مصدر تمويلها، في حين اجتازت «إيستيل» وأسرتها مراحل من العوز المريع وكادوا ينفقون جوعًا لو لم تمتدّ إليهم أيادي المحسنين.

وأَنكى ما في الأمر أنّ بعض الكهنة والرؤساء الدينيّين انخرطوا في حملة التشهير والافتراء هذه، وسوّقوا الاتّهامات السمجة بشأن الرائية، واتّهمها كاهنٌ معزّمٌ فشل في استغلالها،

بأنّها وسيطة إبليس. وقد تشبّث الأسقف «سيرڤونّيه»، بهذه الأكاذيب، وتذرّع بها كي ينفي مصداقيّة الظهورات.

ولا بدّ من التذكير بأنّ «إيستيل» لم تكن ابنة « پلّڤوزان»، ومن ثمّ فإنّ ما حظيت به من عملٍ في خدمة آل لاروشفوكو، التي وضعت أحد بيوتها في القرية بتصرّف ذويها، قد أثار حسد كثيرين من أهل القرية. غير أنّ كثيرين منهم قد ثمّنوا ورَعها، ودماثتها، وعطفها على الأشدّ فقرًا، بدليل العدد الكبير منهم الذين تطوّعوا للسهر عليها أثناء مرضها. غير أنّ الحاسدين، ومعظمهم من غير المؤمنين، ومن المتأثّرين بهجمات الصحافة الملحدة، لم يَرُقْ لهم أن تحدث في قريتهم ظهوراتٌ للعذراء، وعجائب، وأبوا أن تتحوّل تلك القرية إلى «لورد» أُخرى، فاختلقوا شتّى الأكاذيب، إساءةً للظاهرة، وألصقوا بالرائية «إيستيل» أبشع الاتّهامات الباطلة، دعمتها أسرة لارشفوكو وفئةٌ من الإكليروس.

غير أنّ الغرباء عن القرية لم يؤخذوا بهذه التخرّصات المغرضة، وظلّت أفواجٌ منهم تؤمّ «پلّڤوزان» لمقابلة تلك التي

كرّمتها أمّ الله بظهورها لها وبشفائها من علّتها المميتة، ولالتماس صلواتها. وقد شهد على إيمان الغرباء هذا، تدفّق الحجّاج الذي لم ينقطع، يومًا، سيله، رغم صعوبة الوصول إلى «بلّڤوزان»، وعدم توفّر وسائل المواصلات المريحة، وأماكن الضيافة. فكان عدد الحجّاج يناهز، سنويًّا، ستّة آلاف حاجّ حتّى نهايات القرن العشرين.

ولا ريب أنّ حملة تشويه سمعة «إيستيل» الظالمة والدنيئة، وتنكّر الكنيسة الرسميّة لرغبات العذراء، كانتا صليبًا مرهقًا على كاهل «إيستيل»، وأسالا في نفسها حزنًا هاصرًا، عبّرت عنه من خلال رسالةٍ أنفذتها في ١٩٠٢/٣/٢٥ إلى الأسقف «سيرڤونّيه»، جاء فيها:

«هذه التخرّصات يتمّ تداولها في الأسواق، والساحات العامّة...

«لم يوفّروا لا كذبًا ولا نميمةً... أرجو سيادتكم تصديق أنّني لست ضحيّة هلوسةٍ، وأنّني أدليت بالحقيقة الصرف. أجل، شاهدتُ العذراء، وهي التي شفتني.

«إنّني أُصلّي من أجل جميع من يؤلموني ومن يهاجموني بغية تدمير عمل «بلّڤوزان»، والساعين إلى وأد الظهورات، وهم يعون ما يفعلون... يا لهم من تعساء، ولكأنّهم قادرون على منع العذراء من فعل ما تريد! وأيّ شرٍّ يرتكبون!...«لقد طلبت العذراء إذاعة مجدها، وبأيّة طريقةٍ يلبّون!».

في الواقع دأب المسؤولون الكنسيّون على تخريب الظاهرة تخريبًا منتظمًا، أصاب، في المحصّلة، المزار والعبادة، والرائية، والكنيسة، والإيمان.

وقد استمرّ هذا الوضع الكارثيّ حتّى وفاة الأسقف «سيرڤونّيه» في ١٩٠٩/١٠/١٨.

في هذه الأثناء لم يتوانَ أنصار الظاهرة عن الدفاع عنها. ففي عام ١٩٠١ صدرت نشرة «صوت مريم» التي أفردت إصدارًا خاصًّا بظاهرة «بلّڤوزان». وأبدى أساقفة رعايا عديدةٍ إيمانهم بالظاهرة، وأعلنوا عن تأييدهم لها.

وقد قام الأب «بيرتران» والدوقة «ديستيسّاك» بمساعٍ جادّةٍ، في سبيل استصدار اعترافٍ كنسيٍّ رسميٍّ بالظاهرة، ولكنّ

سير هذه القضيّة ظلّ بطيئًا جدًّا، مسبّبًا كدر «إيستيل» التي عبّرت عنه بقولها: «لايمكن لأحدٍ أن يدرك كم يؤلمني بطء سير القضيّة. فالعذراء تريد أن تُكرَّمَ ههنا، وهي تدعو الشعب بأجمعه إلى إيلائها ثقته، قائلةً للجميع: «**تشجّعوا، وصلّوا، وثقوا**».

لكم صُلبت «إيستيل» وتوجّعت، وهي ترى نداءات العذراء، ومساعيها لخلاص أبنائها مُهملةً، منبوذةً، يقاومها حتّى الذين يدّعون خدمة ابنها!

وإثر منع تطوافات الحجّ، هبط عدد الحجّاج، وأصبح المزار وقفًا على أسرة لاروشفوكو وأصدقائها.

وتوفّي المطران، «سيرڤونّيه»، في ١٩٠٩/١٠/١٨، فخلفه الأسقف «ديبوا» (DUBOIS)، الذي بادر إلى رفع الحظر عن الحجّ، وإلى فتح المزار للحجّاج، وترأّس بنفسه الحجّ السنويّ، ولكنّ السلطات المدنيّة ما انفكّت تحظر تطوافات الحجّ.

غير أنّ الأسقف «ديبوا»، من جانبٍ آخر، جهد في إقناع

«إيستيل» بالانضمام إلى ديرٍ. ولكنّها أجابته برسالةٍ مؤرّخةٍ في ١٩١١/٧/٢، عبّرت، من خلالها، عن غمّها بسبب مغبّات ما أصاب الظاهرة من تشويهٍ، جاء فيها:

«أظنّ أنّ إبليس يجهد في محو ذكرى الظهورات، بحذف الكتفيّة من تمثال أُمّنا الحنون، إذ إنّ هدف ظهورات، «بلّقوزان» هو إعلان كتفيّة القلب الأقدس.

«هذه الكتفيّة هي، على نحوٍ خاصٍّ، نبع نِعَمٍ روحيّة، وأوقيانس رحمةٍ من أجل خلاص العالم. لقد قدّمتها الأمّ الإلهيّة في التاسع من أيلول، ومنذئذٍ، ما انفكّت ترتديها.

«إنّ عمل «سيّدة بلّقوزان» ما برح في طور المحنة. وإنّي لأخشى – ما دام الأمر على هذه الحال – أن تُحبَس أو ترجأ النِعَم الكبرى التي ينبغي أن تتدفّق. فالشكّ يغلق النبع، والإيمان كفيلٌ بفتحه. وقد بدا لي أنّ قول العذراء: «**أنا الأمّ كلّيّة الرحمة**»، إشارةٌ إلى رسالتها الإلهيّة، وإلى رغبتها الأموميّة بدعوة النفوس الضالّة إليها، ولاسيّما أنّها أكّدت: «**لقد جئت، خاصّةً، من أجل ارتداد الخطأة**».

إثر تلقّيه هذه الرسالة، رغب الأسقف في إعادة فتح ملفّ «پلّڤوزان»، وهيّأ للرائية «إيستيل» مقابلةً مع البابا پيّوس العاشر. ولكنّ روما لم تكن راغبةً في نقض قرارٍ سابقٍ، وبلّغت الأسقف هذه الرغبة. فخضع لها. وتوفّي البابا پيّوس العاشر في ١٩١٤/٨/٢٠، وخلفه البابا بينيدكتس الخامس عشر، ولكنّ وضع ظاهرة «پلّڤوزان»، لم يشهد أيّ تغييرٍ، رغم توسّل «إيستيل» إلى الحبر الأعظم، بفكّ القيود المفروضة على القضيّة.

وظلّت قضيّة ظهورات العذراء في «پلّڤوزان»، تتأرجح بين مدٍّ وجزرٍ، وتتحقّق نبوءة العذراء للرائية «إيستيل فاغيت» بأنّ حياتها ستحفل بالمشقّات.

بين عامَيْ ١٩٢٠ و١٩٢٩ توارى معظم الفاعلين الأوائل الذي كان لهم بظاهرة «پلّڤوزان» صلة:

– الكونتيسة لاروشفوكو توفّيت في ١٩٢٠/٦/١٤. ولكنّ أُسرتها ورثت موقفها الأنانيّ المناوئ للرائية «إيستيل».

– الأب سلمون عاد من منفاه الذي تمادى عشرين عامًا،

وأمضى في فندقٍ في «پلّڤوزان» الأيّام المعدودات المتبقّية له على هذه الأرض، قبل وفاته، في شهر تمّوز ١٩٢٢. وقبيل رحيله جاءه كاهنان وسألاه:

– «أبتِ، ستمثل قريبًا بين يدي اللّه. فهل أنت عازمٌ على الموت، وأنت مؤمنٌ بظهورات العذراء في «پلّڤوزان»؟

– «بلا أيّ تردّدٍ، فلم يراودني بشأنها أيّ شكٍّ، قطّ».

وكان قد دوّن، في وصيّته:

«إنّني أموت على الإيمان بالكنيسة الكاثوليكيّة الرسوليّة الرومانيّة، وعلى الإيمان الراسخ والثابت بظهورات السيّدة العذراء في «پلّڤوزان»، وأرغب في أن يدفن جسدي في مقبرة «پلّڤوزان»، عسى أن يكون عمل الإيمان هذا، بعد مماتي، تأكيدًا لكلّ أعمال حياتي، وينال لي الغفران والرحمة».

وحرص الأُسقف الجديد «إيزار» (Mg. IZART) على استجواب «إيستيل»، قبل وفاتها، فجاءها بصحبة كاهن الرعيّة، وكاهنٍ آخر، والنائب الأسقفيّ. وبتاريخ ١٩٢٣/٩/١٠

دوّنوا محضر استجوابها الذي مهرته بتوقيعها، وقد جاء فيه:

«إنّ صدق أجوبتها، ودقّة التفاصيل، التي أدلت بها، أثبتت أنّ «إيستيل» التي ستبلغ الثمانين في ١٢ أيلول القادم، تمتلك كلّ مؤهّلاتها العقليّة، وما تزال تتمتّع بذاكرةٍ وفيّةٍ نادرة النظير».

واستوضحها الأسقف عن صحّة أقوالها السابقة، ودعاها إلى القسَم أمام اللّه، مؤكّدةً أنّ كلّ ما أعلنته يتطابق مع الحقيقة الصرف، فجثت على ركبتيها، تلقائيًّا، ورفعت يديها صوب المصلوب، وأقرّت، بقسَمٍ، أنّ ما من كلمةٍ نسبتها إلى العذراء تستوجب الحذف، وأنّها تثبّت كلّ تصريحاتها المتعلّقة بالظهورات، وأضافت، بحرارةٍ شديدةٍ، أنّ اللّه الذي سيحاكمها يعرف أنّها لا تكذب، وأنّها لن تتردّد في إخضاع كلّ ما أدلت به أمام منبره.

وقبل انطفائها بهدوءٍ، بتاريخ ١٩٢٩/٨/٢٣، ثابتةً في تأكيدها للظهورات، كانت قد قدّمت لمصلّى المزار آية شكرٍ جديدةً لما أنعم به اللّه عليها من شيخوخةٍ سعيدةٍ.

وأسوةً بسَلفه، حاول الأسقف «إيزار» إعادة النظر في ملفّ الظهورات التي تبيّنت له وجوهها الإيجابيّة. ولكنّ المجمع المقدّس بلّغه عدم رغبته في إيقاظ الماضي، وإيثاره الامتناع عن أيّ قرارٍ بهذا الشأن، سلبًا أو إيجابًا.

وكان لا بدّ من انتظار عام ١٩٨٣، وصدور إعلان الأسقف «ڤينيانكور» (VIGNANCOURT) الـذي اعترف أنّ شـفـاء إيستيل كان معجزًا. وكان الأسقف المذكور قد كلّف لجنةً طبّيّةً وأُخرى لاهوتيّةً، بدراسة قضيّة شفاء «إيستيل فاغيت». وأعلن نتائج هذه الدراسات في بيانٍ له بتاريخ ١٩٨٣/٩/٤. وقد أكّدت اللجنة الطبّيّة، بناءً على تقارير الأطبّاء الذين عاينوا المريضة، آنذاك، وشخّصوا علّتها، وأعلنوا عجزهم عن معالجتها، أنّ شفاءها كان «مفاجئًا، وكاملاً، ودائمًا». وبناءً على هذه المطالعة ارتأت اللجنة اللاهوتيّة أنّ شفاءها كان معجزًا، مستبعدةً كلّ تفسيرٍ طبّيٍّ، وكلّ عاملٍ نفسيٍّ، وكلّ سببٍ غير إلهيٍّ. وعليه أعلن رئيس الأساقفة: «لقد أخذت علمًا بأنّ ذلك الشفاء لا تفسير له بشريًّا، وبصفتي رئيس أساقفة بورج أعلن صفته العجائبيّة».

وفي غروب القرن العشرين تولّت جمعيّة رهبانيّةٌ متخصّصةٌ بشؤون الحجّ، إدارة الحجّ إلى الحجرة التي ظهرت فيها العذراء للآنسة «إيستيل فاغيتّ» في «بلّڤوزان».

رسالة «بلّڤوزان»

إلى جانب كونها استجابةَ أمٍّ حنونٍ لاستغاثة فتاةٍ فقيرةٍ بائسةٍ، استهدفت ظهورات «بلّڤوزان» غايةً روحيّةً، تستند على فهم قلب يسوع، والتكفير عمّا يلحق به من إهاناتٍ، وتكريمه. ورمزُ هذا التكريم كتفيّةٌ تحمل رسم القلب الإلهيّ الجريح الملتهب حبًّا للبشر، والتي وصفتها الرائية بأنّها «نبع نِعَمٍ روحيّةٍ خاصّةٍ، وبحر رحمةٍ من أجل خلاص العالم». ولذلك دعت «إيستيل» إلى الثقة بهذا القلب والاتّكال عليه، وإلى ارتداء تلك الكتفيّة، الذي يُسعد الأمّ السماويّة.

هذا التكريم كفيلٌ بإحلال السلام: سلام الإنسان مع الله، من خلال التوبة والتكفير عن الخطايا، وسلام الإنسان مع ذاته، من خلال التمرّس بالهدوء، والطاعة، والتضحية،

CI GIT
ESTELLE FAGUETTE
ENDORMIE DANS LA PAIX DU SEIGNEUR
ET L'AMOUR DE LA SAINTE VIERGE
LE 23 AOUT 1929
A L'AGE DE 86 ANS
SOIS SIMPLE 1876
Merci

قبر «إيستيل»

مزار «پلّڤوازان»، حاليًّا

آية شكرٍ أخرى قدّمتها إيستيل

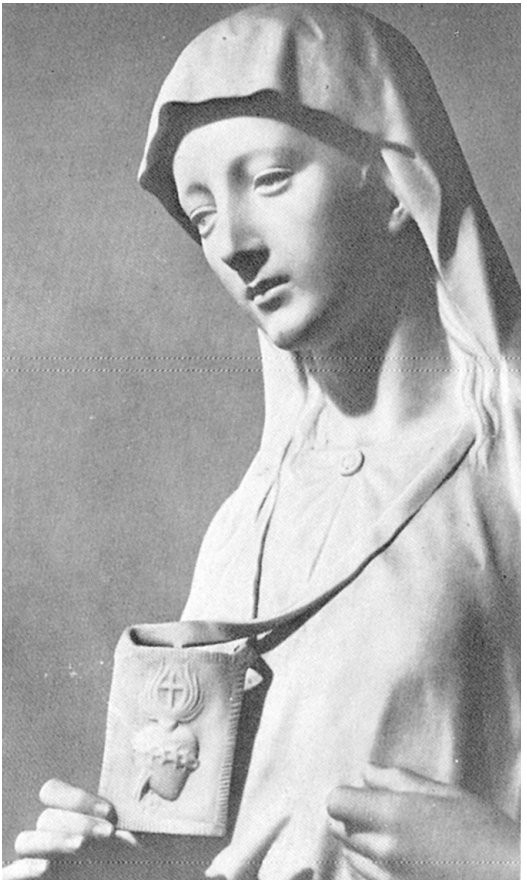

سيّدة پلّڤوازان حاملةً كتفيّة قلب يسوع

والصلاة، والسلام مع الآخرين من خلال المحبّة والمصالحة.

كما أنّ هذا التكريم، يذكّر المسيحيّين، في كلّ لحظةٍ، بالتزامهم انتهاج حياةٍ إنجيليّةٍ منزّهةٍ لا غبار عليها.

واستهدفت الظهورات أيضًا تأكيد دور العذراء في الحياة المسيحيّة، فالعذراء أعلنت: «**أنا الأمّ كلّيّة الرحمة**». إنّها مُحِبّةٌ، ومحبوبةٌ، بصفتها أُمّا، وهي شفيعة البشر وملاذهم، ولاسيّما لأكثرهم انغماسًا في الخطيئة. ووساطتها جزيلة الجدوى، فهي أعلنت: «**بواسطتي سيهزّ يسوع أشدّ القلوب قسوة**»، فالحبّ الذي يربطها بابنها قادرٌ على الظفر بكلّ شيءٍ منه. وهي حريصةٌ على أن تكون القدوةَ و المعلّمة، مردّدة: «**صلّوا، على مثالي...**».

غير أنّ محيط تلك الحقبة قد سعى إلى تأويل الحدث، وفقًا لنزاعات الفئات السياسيّة المتناحرة، وللمصالح الشخصيّة الأنانيّة، فشوّه الحدث والرسالة. وساهمت في هذا التشويه طائفةٌ من رجال الإكليروس الذين كانت تحرّكهم نزعاتٌ سياسيّةٌ متنابذةٌ، فحجب تناقض مواقفهم مغزى الظهورات

الخطير، وحرّف رسالتها. وصدق قول العذراء عن الفرنسيّين الذين يريدون معرفة كلّ شيءٍ قبل أن يتعلّموا، وأن يفهموا كلّ شيءٍ قبل أن يعرفوا.

ومثلما جاء يسوع إلى خاصّته، فلقي منهم الصدوف والاستنكار، لقيت دعوة العذراء القليل من الاستجابة، والكثير من المقاومة.

ظهورات «سيّدة الصلاة»

في جزيرة بوشار (ILE-BOUCHARD) – فرنسا

جزيرة بوشار

تقع جزيرة «بوشار» في منطقة «تورين» (TOURAINE) الفرنسيّة، وقد سُمّيت هكذا، نسبةً إلى كنية الأسرة الإقطاعيّة التي كانت تمتلك تلك القرية، حيث ابتنى البارون بوشار الأوّل قصرًا، عام ٨٨٧، وظلّت أسرته باسطةً سيادتها على الجزيرة حتّى وفاة الوريثة الأخيرة عام ١٤٧٢. وكانت ملكيّتها قد انتقلت، بزواج هذه الوريثة، إلى أسرة «تريموايّ» (TREMOILLE)، وحتّى انتهاء الإقطاع، إبّان الثورة الفرنسيّة.

في تلك القرية ظهرت السيّدة العذراء لأربع فتياتٍ، بين ٨ و١٤ كانون الأوّل من عام ١٩٤٧.

كانت فرنسا، في تلك الحقبة، تجتاز مرحلةً عصيبةً، سياسيًّا واجتماعيًّا. فمع أنّها كانت قد تحرّرت، حديثًا، من النازيّة، إلاّ أنّها كانت واقعةً تحت تأثير «الحرب الباردة» من جانبٍ، ومن الجانب الآخر، تحت ضغوط الحركات الشيوعيّة التي لا تني تؤجّج نيران إضراباتٍ تهدّد اقتصاد البلاد بالاختناق، وتنذر بحربٍ أهليّةٍ ماحقةٍ، بحيث بدا عام ١٩٤٧، من أشدّ الأعوام قتامًا، في تاريخ فرنسا.

ولكن، في الآن عينه، كانت الصوفيّة الفرنسيّة «مارت روبان»، دائبةً على الصلاة من أجل خلاص بلادها، وعلى تبديد هواجس المتشائمين، مؤكّدةً: «ستنقذ العذراء مريم فرنسا، وبفضل صلوات أولادٍ صغارٍ». فرغم اللاّمبالاة الدينيّة المعلنة، كان الإيمان ما برح حيًّا في تلك البلدة الصغيرة. والأولاد الصغار الذين أشارت إليهم الصوفيّة «مارت روبان»، تمثّلهم أربع فتياتٍ، في جزيرة بوشار، هنّ: «جاكلين أوبري» (Jacqueline AUBRAY)، التي كانت حينذاك في الثانية عشرة من عمرها، وشقيقتها الصغرى «جانيت»، التي كانت في السابعة والنصف من سنيها، وقريبةٌ لهما تدعى «نيكول

روبان» (Nicole ROBIN)، وكانت قد تخطّت قليلاً السنة العاشرة، ورفيقةٌ لهنّ لها من العمر ثماني سنواتٍ، ونصف السنة، وتدعى «لورا كروازون» (Laura CROISON).

أولئك الفتيات الأربع كنّ طالباتٍ في مدرسةٍ حرّةٍ، أي غير حكوميّةٍ، تديرها راهباتٌ. ولم يكن اختيار ذويهنّ لتلك المدرسة بدافع الإيمان، فجاكلين وشقيقتها لم تشهدا والديهما، يومًا، يصلّيان، وكذلك أمر الفتاتين الأُخريَين.

وقد شهد كاهنٌ، في أولئك الفتيات، بقوله: «أربع فتياتٍ لطيفاتٍ، ولكنّهنّ لا يتميّزنَ عن سواهنّ، ولسنَ أفضل من الأُخريات». وقال عنهنّ الأسقف «فيو» (FIOT): «الفتيات الأربع سليماتٌ وطبيعيّاتٌ، وهنّ موضع رضى ذويهنّ ومعلّماتهنّ، ولكن لا شيء فيهنّ يستلفت الانتباه».

وقد لوحظ، في معظم الظهورات، أنّ الربّ يختار الصغار، والبسطاء، والعاديّين، لكيلا يكونوا موضع شبهةٍ، إن هم تميّزوا بالذكاء والعلم، والثقافة، ولئلاّ تُنسب الظواهر الخارقة التي يُخصّون بها إلى مؤهّلاتهم الشخصيّة. وقد سبق

للربّ أن خاطب الرائية «مارغريت ماري» بقوله لها: «**لقد اخترتكِ مع كونكِ هوّة جهلٍ وعدم استحقاقٍ، لتحقيق عملٍ عظيمٍ، ولكي أكون، أنا، فاعل كلّ شيءٍ**».

ولكن، يجدر بالتنويه أنّ جارةً لذوي جاكلين كانت تنزّهها، هي وأخاها، في صغرهما، وقد أَلِفت، في أثناء المشوار، أن تلج بهما الكنيسة، وتدعوهما للصلاة، ولالتماس شفاعة الأمّ السماويّة. وهكذا ترسّخ لدى جاكلين، منذ طراوة عودها، حبّ السيّدة العذراء، فكانت غالبًا ما ترتاد الكنيسة، في ذهابها وإيابها، وتتلو، بضع مرّاتٍ، «السلام عليك يا ممتلئة نعمةً"...، ولكن لم يخطر لها، يومًا، ببالٍ، أنّ بوسع إنسانٍ مشاهدة أمّ اللّه.

الظهور الأوّل: يوم الإثنين ١٩٤٧/١٢/٨

ومع ذلك تسنّت لجاكلين حظوة رؤية تلك الأمّ السماويّة، يوم ١٩٤٧/١٢/٨. ففي صبيحة ذلك اليوم، قالت الراهبة في المدرسة: «اليوم هو عيد الحبل بالسيّدة العذراء بلا دنسٍ،

رائيات «جزيرة بوشار» في زيّهنّ المدرسيّ
من اليسار: جانيت، جاكلين، نيكول، لورا

الرائيات مع الراهبة مديرة مدرستهنّ، وكاهن الرعيّة
وعلى يمين الصورة كاهنٌ ألقى مواعظ عام ١٩٤٩

فيحسُن باللواتي، منكنّ، يمررن قريبًا من الكنيسة، الدخول إليها، وتقديم صلاةٍ لها».

وفي الساعة الواحدة من بعد ظهر ذلك اليوم، دعت جاكلين صويحباتها إلى الصلاة في الكنيسة، لدى مرورهنّ بها. فدخلنَ، وركعنَ في الجانب الأيسر، حيث يقوم هيكل السيّدة العذراء، وشرعنَ بتلاوة بيتٍ من المسبحة، مستخدماتٍ أناملهنّ للعدّ. ولّما بدأنَ بتلاوة «السلام» الرابع، شاهدت جاكلين، بين زجاج النافذة الملوّن والهيكل، سيّدةً رائعة الجمال، وإلى جانبها ملاكًا رائعًا. فأهابت برفيقاتها أن يتطلّعنَ حيث كان يتراءى لها ذلك المشهد الأخّاذ. كانت السيّدة الجميلة تبتسم لهنّ، وهنّ مفتوناتٌ بجمالها وروعتها. وقد علّمتهنّ أن يصلّينَ قائلاتٍ: «يا مريم التي حُبلَ بها بلا دنسٍ، صلّي لأجلنا نحن الملتجئين إليك». وكانت هذه العبارة مكتوبةً بحروفٍ مذهّبةٍ على الصخرة التي وقفت فوقها الأمّ السماويّة.

هذا الظهور الأوّل دام نحو ربع ساعةٍ. وقد وصفت جاكلين

العذراء، كما رأتها، فإذ بها ممشوقة القامة، ترتدي ثوبًا أبيض رائعًا، يزداد عرضًا كلّما تدلّى، ويشدّ وسطه زنّارٌ أزرق... حافية القدمين، مضمومة اليدين، تتدلّى من ذراعها اليُسرى مسبحةٌ بيضاء جميلةٌ... وشعرها الأشقر الرائع ينسدل حتّى ركبتيها، ويملأ الفتيات إعجابًا. محيّاها فتّانٌ بجماله الخارق، بيضاويٌّ، صغيرٌ، زهريّ اللون. شفتاها رقيقتان، زهريّتا اللون، أيضًا. عيناها زرقاوان، ساحرتان، لا نظير لجمالهما، ولكن لا مثيل لزرقة لونهما على الأرض. إنّها، بكلّيّتها، عطفٌ، وعذوبةٌ، ورقّةٌ. وقد اعترى الفتيات شعورٌ بانبعاث طهرٍ فائقٍ من عينيها، ومن جمالها الفريد. ومع أنّها بدت في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من العمر، إلا أنّ وقارها فرض على الفتيات تسميتها «سيّدة». من حولها كانت تتألّق أشعّةٌ ذهبيّةٌ، تؤلّف ما يشبه مغارةً، ولكنّ لمعانها لا يبهر النظر ولا يؤذيه.

الملاك المرافق لها كان بلون النور، متّشحًا بالبياض، يُشاهَد جانبٌ من وجهه، وعينٌ له زرقاء. كان مستغرقًا في تأمّل بهاء السيّدة، مقدّمًا لها زنبقةً مؤلّفةً من ثلاث زهراتٍ بيضاء،

وبقدر ما كانت السيّدة تبدو بشرًا حيًّا، كان الملاك أشدّ لمعانًا، واصطباغًا بلون النور...

بعد ظهر ذلك اليوم، عادت الفتيات إلى الكنيسة، حيث كانت السيّدة العذراء وملاكها المرافق ينتظرانهنّ. وبدت العذراء، لدى قدومهنّ، باشّة الأسارير، ولكن، عندما دنونَ منها، رأينَ الحزن يغشى محيّاها، وبادرتهنّ بالقول، بنبرة أسىً: «**قولوا للأطفال أن يصلّوا من أجل فرنسا، فهي بحاجةٍ ماسّةٍ إلى الصلاة**». وسألت الطفلتان لورا وجانيت العذراء: «سيّدتي، هل أنت أمّنا السماويّة؟». فأجابت: «**أجل، أنا أمّكنّ السماويّة**» وسألتا: «من هو هذا الشابّ الذي يرافقك؟». حينئذٍ التفتت العذراء نحو الملاك، والتفت الملاك نحو الفتيات، وببسمةٍ رقيقةٍ قال: «أنا الملاك جبرائيل».

وقبل مغادرتها، قالت العذراء للفتيات: «**أعطينني أيديكنّ كي أقبّلها**». فاضطرّت جاكلين إلى حمل أختها، ورفيقتهما الصغيرة كلير، ورفعهما نحو الأمّ السماويّة. وقد تبيّن لها، لاحقًا، أنّ وزن الفتاتين، حين رفعتهما نحو العذراء، كان

يحاكي وزن ريشةٍ، في حين أنّها، في ظروفٍ أخرى، ولاسيّما في أثناء التحقيق معها، كانت تجد مشقّةً في حملهما.

في ذلك المساء أخضع كاهن الرعيّة، ومديرة المدرسة الرائيات الأربع، كلاًّ منهنّ على حدةٍ، لاستجوابٍ دقيقٍ وصارمٍ، وطُلِب من كلٍّ من جاكلين ونيكول تدوين تقريرٍ حول ما رأتا، هما ورفيقتاهما، وقد جاءت كلّ إفادات الرائيات على تطابقٍ تامٍّ.

وكان للنور المشعّ من عيون الفتيات، وهنّ يروين ما شاهدنَ، ولثقتهنّ الوطيدة، وقعٌ طاغٍ على مَن يسمعهنّ. وكانت الراهبة، مديرة المدرسة، أولى المتأثّرات بنظراتهنّ، فآمنت، في سريرتها، بصدقهنّ، رغم الشكوك التي كانت تخامر الآخرين. فالنظرة، أحيانًا، أصدق وأقدر على الإقناع من أبلغ خطابٍ.

وفي مساء ذلك اليوم عينه، حضرت جاكلين، وحدها، إلى الكنيسة حيث كان يجري تطوافٌ بالقربان المقدّس. فظهرت لها العذراء، للمرّة الثالثة في ذلك اليوم، ودعتها

إلى الدنوّ منها. والتفتت جاكلين إلى الوراء كي تحصل على موافقة الراهبة، مديرة المدرسة. وإذ لم تصدر عن هذه الأخيرة أيّة إشارة، امتثلت الفتاة لطلب العذراء. وعندما لامتها الراهبة على تحرّكها، أجابت:

– «يا أختي العزيزة، السيّدة هنا، ترمقنا. فما يتوجّب علينا فعله؟

– أين هي؟

– ألا ترينها، يا أختي؟ ها هي ذي».

وأشارت بيدها إلى حيث كانت العذراء واقفةً. هذه العفويّة كانت دليلاً دامغًا على صدقٍ لا شبهة فيه.

يوم الثلاثاء ١٩٤٧/١٢/٩:

كان كاهن الرعيّة قد وطّن العزم على إغلاق الكنيسة، درءًا للفوضى وللأقاويل الآخذة بالانتشار. ولكنّه، عندما وصل إليها، في الساعة الثانية عشرة والنصف، أمسكته قوّةٌ فائقةٌ، فعاد القهقرى.

وفي الساعة الواحدة، حضرت الفتيات، بناءً على الموعد الذي كانت العذراء قد ضربته لهنّ. وكانت العذراء بانتظارهنّ. ولكنّ الملاك المرافق كان، في ذلك اليوم، جاثيًا إلى يسارها، لا إلى يمينها. وإذ كان عددٌ من فتياتٍ أخرياتٍ قد واكبنَ الرائيات، سألت جاكلين:

«– يا سيّدتي، هل أستطيع إدخال رفيقاتي؟

– **أجل، ولكنّهنّ لن يرينني**».

ووضعت العذراء صليب مسبحتها طيّ راحة يدها اليمنى، فيما وضعت راحةَ يدِها اليُسرى على قلبها، وقالت للفتيات: «**قبّلن صليب مسبحتي**». وكان يعلو الصليب مصلوبٌ متألّم جميلٌ... ولقّنتهنّ العذراء كيف يرسمن إشارة صليبٍ مثاليّةً، متأنّيةً، راسمةً، هي نفسها، تلك الإشارة بتؤدةٍ ووقارٍ، وقد تجلّت على محيّاها أمارات الصلاة والتأمّل. وقلّدت الفتيات حركة العذراء، التي قالت لهنّ، بأسىً: «**صلّينَ من أجل فرنسا، فهي تواجه، في هذه الأيّام، مخاطر كبرى**». ثمّ ابتسمت وقالت: «**اطلبنَ من الكاهن أن يأتي إلى هنا، مع**

المؤمنين والأولاد للصلاة». وبعد أن تلت الفتيات بيتًا من المسبحة، قالت لهنّ: «**قلنَ للكاهن أن يبني، بأسرع مهلةٍ، مغارةً، حيث أنا واقفةٌ الآن، وأن يضع فيها تمثالي، وإلى جانبه، تمثالاً للملاك. وعندما سيتمّ بناؤها سأباركها**».

وفي الساعة الخامسة مساءً رجعت الفتيات إلى الكنيسة، تلبيةً لدعوة السيّدة السماويّة، ولكن غابت نيكول لأنّ والديها أمَراها بالعودة إلى المنزل في تلك الساعة المتأخّرة. وصحب الفتيات نحو عشرين ولدًا، وثلاثين بالغًا. وكانت العذراء وملاكها بانتظارهم، متألّقَي الجمال، كما كانا دائمًا. وعندما جثا الحضور أمام الزائرة السماويّة، بدت وكأنّها تنتظر مَن يصلّي قريبًا منها، فطلبت أن يُنشد الجميع الصلاة الأثيرة لديها: «السلام عليكِ يا ممتلئةً نعمةً...».

وصدح الجمهور بهذه الصلاة، من أعماق قلوبهم. وحينئذٍ دعت الجميع إلى الدنوّ منها، ومشاركتها تلاوة بيتٍ من المسبحة. وشوهدت تمرّ بأناملها على حبّات مسبحتها، ولكنّها لا تحرّك شفتيها، إلاّ عند بلوغ القسم الثاني من تلك الصلاة، المستهلّ بالقول: «يا قدّيسة مريم"...

وإثر الفراغ من تلاوة بيت المسبحة، أنشدت العذراء، ثلاثًا: «يا مريم التي حُبل بها، بلا دنسٍ» وكان الجمهور يكمل: «صلّي لأجلنا، نحن الملتجئين إليك».

وسألتها جاكلين: «هل علينا أن نعود غدًا، وهل ستحضرين، أنت، أيضًا؟»، فأجابت: «**تعالوا كلّ يومٍ، في الساعة الواحدة ظهرًا، إلى أن أقول لكم إنّ الأمر انتهى**». ثمّ باركت الجميع بإشارة صليبٍ جليلةٍ.

الظهور السادس: الأربعاء ١٩٤٧/١٢/١٠

في هذه الأثناء، كانت جاكلين تواجه عدم تصديق والدتها لما ترويه عن ظهور العذراء لها ولرفيقاتها.

غير أنّ كنيسة القرية شهدت، عند الساعة الواحدة من ظهر ذلك اليوم، حشدًا من نحو مئة نسمةٍ. أمّا كاهن الرعيّة والراهبات، فكانوا مختبئين في الموهف (السكرستيّة) يراقبون.

وحضرت السيّدة العذراء، متألّقة الجمال؛ وعندما دنت

موقع الظهورات في كنيسة «سان جيل»

راعي كنيسة «سان جيل» يتحدّث إلى الرائيات

منها الفتيات يواكبهنّ الجمهور، طلبت إنشاد «السلام عليك، يا ممتلئةً نعمة»، فأنشد الجميع بكلّ قلوبهم، وختموا النشيد بإشارة صليب، مرفقةٍ بقول: «المجد للآب والابن والروح القدس...». وحينئذٍ، انحنت العذراء احترامًا للثالوث.

وكانت نيكول قد كُلّفت بسؤال العذراء، عن طريقة صنع المغارة التي طلبت، بالأمس، إقامتها، فأجابت: «**ابدأوا بصنعها من الورق**».

ثمّ وضعت العذراء يدها اليسرى على قلبها، ومدّت يدها اليمنى، قائلةً: «**قبّلنَ يدي**». وقد اضطُرّت جاكلين إلى رفع أختها وقريبتهما الصغيرة، نحو العذراء، وفي هذه النوبة، أيضًا، لم تشعر لهما بثقل، فلكأنّها كانت ترفع ريشةً. والتمست جاكلين، نزولاً عند رغبة والدتها الملحّة: «يا سيّدتي، هل تتكرّمين وتحدثين أعجوبةً، تساعد الجميع على الإيمان؟». فأجابت أمّ الله: «**أنا لم آتِ كي أجري معجزاتٍ، بل لكي أحرّضكم على الصلاة من أجل فرنسا. ولكنّك، أنتِ، ستبصرين، غدًا، بوضوح، ولن**

تحتاجي، بعدُ، إلى نظّاراتٍ». وكانت جاكلين مصابةً، منذ مولدها، بحسر بصرٍ، وبالتهاب ملتحمةٍ متقيّح، يجعلها تدمع ليل نهار، وتفرز عيناها سائلاً متقيّحًا، يتيبّس ليلاً، ويكوّن قشرةً تزيلها والدتها، كلّ صباح، بالماء الفاتر.

وصباح يوم الخميس، الواقع في ١٩٤٧/١٢/١١، كانت والدة جاكلين قد أعدّت الماء الساخن، كي تزيل العمش عن عيني ابنتها. ولكن، لدى استيقاظ هذه الأخيرة، تبيّن لها شفاء عينيها، فلم يعد، ثمّة، داعٍ إلى الماء الساخن، ولا إلى النظّارات.

واستُدعي كاهن الرعيّة للتثبّت من شفائها، فجاء، وعاين، واقتنع، وأعلم الأسقف الذي سمح له بحضور الظهورات مع الراهبات.

وفي الساعة الواحدة، ظهرت العذراء، وبادرت إلى طلب إنشاد «السلام عليك يا ممتلئةً نعمةً...». وبناءً على إيعاز الكاهن، الذي كان حاضرًا، سألت جاكلين الضيفة السماويّة: «علامَ شرّفت هذه الكنيسة، باختيارك الظهور

فيها؟». فأجابت العذراء: «**بسبب وجود أناسٍ أتقياء هنا، ولأنّ «جانّ ديلانوي» مرّت من هنا**». وجانّ هذه كانت قد عاشت حياة قداسةٍ بين عام ١٦٦٦ و١٧٣٦، وأُعلنت قداستها عام ١٩٨٢.

وبعد أن أنشدت الرائيات «السلام عليك...» التمست جاكلين من العذراء، مرّةً أُخرى، أشفيةً، وأجابت أمّ الله أنّها ستهب العائلات السعادة، وأنّها ستُحلّ، في جميع القلوب، السلام والفرح.

وقبل مغادرتها، طلبت العذراء تلاوة: «يا مريم التي حُبل بها بلا خطيئةٍ، صلّي لأجلنا»... ثمّ باركت الحضور بإشارة صليبٍ واسعةٍ وجليلةٍ.

الجمعة ١٩٤٧/١٢/١٢

ظهرت العذراء، في أبّهةٍ فريدةٍ، مشعّةً نورًا، ضاجّةً سعادةً، وقد أحاطت بها هالةٌ امتزجت فيها كلّ الألوان، ما خلا الأسود والنهديّ، وقد ارتسمت على صدرها، وعلى

الصخرة التي وقفت عليها، عبارة «تعظّم نفسي الربّ». وطلبت من الفتيات تلاوة بيتٍ من المسبحة، ثمّ دعتهنّ إلى الإكثار من الصلاة لأجل الخطأة. وأنشدت ثلاثًا: «يا مريم التي حُبل بها بلا دنسٍ...»، فكانت الفتيات يكملنَ الدعاء قائلاتٍ: «صلّي لأجلنا، نحن الملتجئين إليك». ثمّ دعتهنّ إلى تقبيل يدها.

وطلبت الفتيات من الزائرة السماويّة، بناءً على توجيه كاهن الرعيّة، المزيد من الأشفية العجيبة، فأجابت، ثانيةً: «**أنا لم آتِ من أجل إجراء معجزاتٍ، بل من أجل حثّكم على الإمعان بالصلاة**».

وقبل أن تتوارى، محفوفةً بغمامة نورٍ، دعت الفتيات إلى العودة، في الساعة الواحدة، من يوم الغد.

في ذلك اليوم أعلن ممثّل وزارة الداخليّة الفرنسيّة لكاهن الرعيّة أنّ فرنسا قد أُنقذت بفضل صلوات الفتيات الأربع، وصلوات سائر أطفال قرية بوشار، ومؤمنيها الورعين. وكان الحزب الشيوعيّ قد أعدّ، في ذلك اليوم، لتظاهراتٍ

جسيمةٍ، كفيلةٍ بشلّ البلاد، وبإشاعة الدمار، فيما كانت الحكومة عاجزةً عن بسط سلطتها. ومن حيث لم يتوقّع أحدٌ، أصدر زعماء الحزب أمرًا مفاجئًا، بإلغاء الإضراب والتظاهرات، فأدهشوا الجميع، وفي طليعتهم الحكومة، بهذا القرار المباغت.

السبت ١٩٤٧/١٢/١٣

كان الجمع في الكنيسة كثيفًا، وكان عددٌ من الكهنة يحيطون بالرائيات، اللائي شوهدنَ يرفعنَ، بغتةً، رؤوسهنّ في آنٍ واحدٍ، ويصوّبنَ أنظارهنّ نحو اتّجاهٍ واحدٍ، وشرعنَ يصدحنَ بصلاة «السلام»، فملأت أصواتهنّ أرجاء الكنيسة. وبواسطتهنّ دعت العذراء الحضور إلى الدأب على تلاوة صلاة «السلام» التي كان البعض قد نسوها. وكان الفرح يتجلّى على قسماتها كلّما كثر عدد المصلّين، وكلّما ردّدوا عبارات تلك الصلاة.

تلت الفتيات بيتًا من المسبحة، وأتبعنَه بدعائهنّ، ثلاثًا:

«يا مريم التي حُبلَ بها بلا دنسٍ...». وقدّمت جاكلين للضيفة السماويّة باقة قرنفل، باركتها، وأعادتها لها. ثمّ تلت الفتيات بيت مسبحةٍ ثانيًا، أتبعنَه بدعاء «يا مريم التي حُبلَ بها بلا دنسٍ...»، وكرّرنَه ثلاثًا.

وعقب تلاوتهنّ بيت المسبحة الثالث، استهلّت العذراء نفسها دعاء «يا مريم...» فأكملته الفتيات.

وحينئذٍ، هتفت جاكلين بعفويّةٍ، وأُلفةٍ، وشيءٍ من نفاد الصبر: «يا سيّدتي، أرجوك أن تصنعي معجزةً». واكتفت العذراء بالقول: «**لاحقًا**».

وتلت الفتيات بيت مسبحةٍ رابعًا، فخامسًا، وألحقنَهما، كالمعتاد بدعاء: «يا مريم التي حُبلَ بها بلا دنسٍ». وبين كلّ بيت مسبحةٍ، والبيت التالي، كانت تسود فترة صمتٍ، أو ينعقد حوارٌ بين جاكلين والأمّ السماويّة.

وأخيرًا، ودّعتهنّ العذراء قائلةً: «**غدًا سأعود للمرّة الأخيرة**».

الأحد ١٩٤٧/١٢/١٤: الظهور العاشر والأخير

غُصّت كنيسة القرية بجميع من استطاعوا المجيء إليها. وفي تمام الساعة الواحدة ظهرًا، أعلنت الفتيات الأربع معًا: «ها هي ذي».

وبناءً على رغبة الضيفة السماويّة، تلت الرائيات بيت مسبحةٍ، وأتبعنَه بتلاوة «المجد...». وشاهدنَ، حينئذٍ، العذراء تنحني احترامًا للثالوث الأقدس. وعلا صوت الجمهور منشدًا: «يا مريم التي حُبلَ بها بلا دنسٍ...».

وتُليَت أبيات المسبحة الأربعة الأُخرى، تخلّلتها صلواتٌ خاصّةٌ من أجل الرؤساء الكنسيّين، والرعيّة، والمدرسة، والكهنة، وفي هذه الأثناء، كانت العذراء باسمةً، مرحّبةً.

وكانت كلّ رائيةٍ قد جاءت بباقة وردٍ، وطلبنَ من العذراء قبولها، ولكنّها اكتفت بالابتسام، وأحجمت عن تناولها، فالتمست منها جاكلين أن تقبّلها، على الأقلّ، فقبّلتها، وأعادتها لصاحباتها. وطرحت جاكلين أسئلةً مُعَدّةً، كتابةً، منها:

«– يا سيّدتي، ما الذي يتعيّن علينا فعله، من أجل تعزية ربّنا عمّا يُلحقه به الخطأة من أحزانٍ؟

– **الصلاة، وتقديم التضحيات، والاستمرار في تلاوة المسبحة**».

وأضافت جاكلين متوسّلةً: «أعطي دليلاً على حضورك»، فأجابت الأمّ السماويّة: «**قبل رحيلي، سأرسل شعاع شمسٍ ساطعًا**».

وطلبت العذراء أن ينشد الجمهور، بمثابة فعل شكرٍ: «**تعظّم نفسي الربّ**».

فاستهلّ الكاهن النشيد، وأكمله الجمهور. حينها تجلّت على العذراء سعادةٌ غامرةٌ، وشخصت عيناها إلى العلاء، وبدت كأنّها ترفع إلى السماء صلاةً حارّةً، وشاعت على محيّاها بسمةٌ طفوليّةٌ.

وقبل رحيلها حثّت الفتيات، ثانيةً، على الصلاة. وسألتهنّ هل يصلّينَ من أجل الخطأة. وعندما أجبنَ بالإيجاب، طلبت

منهنّ تلاوة بيتٍ من المسبحة وسواعدهنّ على شكل صليبٍ، واحتذى بهم قسمٌ كبيرٌ من الحضور، فبسطوا، هم أيضًا، سواعدهم، على هيئة صليبٍ. وتلا الجميع، ثلاثًا: «يا مريم التي حُبل بها بلا دنسٍ...».

بدا فرح العذراء دافقًا، جيّاشًا، مذهلاً، يتعذّر وصفه. وسألت، للمرّة الأخيرة: «**هل ستبنون المغارة التي طلبتها؟**». فأكّد الجميع عزمهم على تلبية رغبتها. وأجالت على الجميع نظرةً حانيةً، متأنّيةً، لا يمكن نسيانها، نظرةً تطفح عطفًا، وحنانًا، وعذوبةً، وطهرًا. وباركت الجميع.

ومع أنّ الجوّ كان مكفهرًّا، سطع في كلّ أرجاء الكنيسة شعاع شمسٍ لا نظير لألقه وإشعاعه. وكان الشعاع الوحيد الذي سطع في الجزيرة كلّها، في ذلك اليوم. وفي ثنايا هذا النور توارت أمّ اللّه.

ملاحظات ورموز:

استُجوبت الرائيات الأربع، كلٌّ منهنّ على حدةٍ، بشأن

تفاصيل دقيقةٍ تتعلّق بالظهورات، فجاءت إفاداتهنّ متطابقةً، في أدقّ التفاصيل.

وإذ كنّ قد تحدّثنَ عن لونٍ ذهبيٍّ في أحد الظهورات، طُليت أربع لوحاتٍ زجاجيةٍ بلونٍ ذهبيٍّ، بحيث تميِّز اللوحةَ عن الأُخرى فروقاتٌ طفيفةٌ جدًّا، وعُرضت اللوحات الأربع على كلٍّ منهنّ منفردةً، وطُلب منهنّ تحديد اللوحة التي تصطبغ باللون الأكثر محاكاةً للذي شاهدنَه أثناء الرؤيا، فأشرنَ جميعهنّ، بلا تردّدٍ، إلى لوحةٍ بعينها.

وقد أُخضعت جاكلين لاختباراتٍ طبّيّةٍ ونفسيّةٍ عديدةٍ، أثبتت، كلّها، اتّزانها المنيع، مع كلّ ما تعرّضت له من ضغوطٍ، ومقاومةٍ، وعداءٍ.

في الظهور الأوّل قرأت الرائيات على الصخرة المستطيلة التي كانت العذراء تقف عليها، مكتوبًا على سطرين، بحروفٍ ذهبيّةٍ، الدعاء الذي طالما أنشدته الرائيات، وأنشده الجمهور أيضًا:

«يا مريم التي حُبل بها بلا دنسٍ،

صلّي لأجلنا، نحن الملتجئين إليك».

وفي الأيّام التالية قرأنَ على الصخرة عينها عبارة: «أنا الحبل بلا دنسٍ».

في الظهور الأوّل بدت العذراء فتاةً في السادسة عشرة أو السابعة عشرة، شعرها شبه مكشوفٍ، ومنسدلٌ، وفي اليوم التالي بدت سيّدةً ناضجةً وشعرها أكثر احتجابًا. وقد رأى بعض المتأمّلين، في هذا التحوّل، انتقال العذراء من البشارة إلى التجسّد.

قبلة أمٍّ

تميّزت ظهورات بوشار بالعلاقة الحسّيّة التي حيكت بين الأمّ السماويّة والرائيات، علاقةٍ خلقت جوًّا ودّيًّا حميمًا انسحب على الحضور، ولاحقًا على الحجّاج. تلك العلاقة ولّدت أعظم إحساس بحبٍّ أموميٍّ لم يشعر بمثله إنسانٌ قطّ. وقد جاء في رواية الأسقف «فيو»:

«قالت لهنّ العذراء: أعطينني يدكنّ لأقبّلها. وبتؤدةٍ

شديدةٍ، أمالت السيّدة رأسها، ورفعت أنامل الرائية الكبرى إلى شفتيها، وألقت عليها قبلةً صامتةً. وهكذا فعلت مع الأُخريات. وكنّ، هنّ الأربع، في قمّة التأثّر، عندما أحسَسن رقّة جسد أمّ الله، ودفء شفتيها. وقد احتفظت أناملهنّ، فترةً، بعلامةٍ نيّرةٍ عن تلك القبلة».

هذه المبادرة جعلت ظهورات جزيرة بوشار الأشدّ تأثيرًا أموميًّا، في تاريخ الظهورات المريميّة. فقد قبّلت أمّ الله أيدي أربع فتياتٍ قرويّاتٍ صغيراتٍ، وتعاملت معهنّ برقةٍ، وعطفٍ، وأُلفةٍ، وحنانٍ، وتهذيبٍ. وفي نوبةٍ أُخرى دعتهنّ إلى تقبيل يدها.

وهكذا أمسى أسبوع ظهورات جزيرة بوشار، زيارة محبّةٍ قامت بها الأمّ السماويّة إلى أرض البشر، من أجل تبليغ نِعمِ الله.

إشارة الصليب

ومن أروع ما فعلته العذراء أمام الفتيات هو رسمها إشارة

الصليب بتؤدةٍ ووقارٍ منقطعي النظير. وكان رسمها لها، في آنٍ واحدٍ، صلاةً، وخشوعًا، وتأمّلاً، وشكرانًا، وعلامةً للفداء، وتكريمًا للثالوث الأقدس، وإيجازًا لأسرار الإيمان الكبرى. كان دعوةً من العذراء كي نتعلّم، من جديدٍ، رسم الصليب، تكريمًا للّه، ولابنه الذي صُلب من أجل افتدائنا.

وكذلك كان امّحاء العذراء، أمام حضور يسوع في القربان، وتكريسها للتجسّد الذي كانت له الأداة المميّزة.

رسالة سيّدة جزيرة بوشار، «سيّدة الصلاة»

ببسمةٍ رقيقةٍ مفعمةٍ حنانًا، افترّت عنها شفتا أمّ اللّه، وأمّ البشر، وأمّ الكون، هبطت رسالة جزيرة بوشار، رسالةٌ اتّسمت بمعاصرةٍ وبغنىً استثنائيّين. وأبرز عناصر هذه الرسالة:

– تميّزت ظهوراتها باتّصالٍ حسّيٍّ مع الرائيات، وهذا أمرٌ نادرٌ في الظهورات.

– تجلّت العذراء مرسلةً من اللّه، بصفتها حريصةً على

خلاص بنيها، وعلى بثّ الرجاء فيهم بواسطة **الصلاة**. لقد جاءت لكي تعلّم الإيمان، بالصلاة أمام الله، وتعلّم الرجاء، بالصلاة من أجل الوطن، وتعلّم المحبّة بالصلاة من أجل الخطأة. جاءت كي تعلّم الصغار والكبار الصلاة. فلا بدعَ إن هي سمّيت «سيّدة الصلاة».

وكانت الضيفة السماويّة قد أكّدت مرارًا للرائيات: «**أنا لم آتِ إلى هنا من أجل إجراء معجزات**». ولكأنّها تقول: «**لا تتوقّعوا المعجزات، بل آمنوا، ولا تلتمسوا المستحيل، بل أحبّوا، ولا تنتظروا غير المألوف، بل اعتصموا بحبل الرجاء، وليكن يسوع رجاءكم، وثابروا على الصلاة**».

ولا جَرَمَ أنّ رائعة ظهورات جزيرة بوشار هي الصلاة. فليس في ذلك المكان ما يجتذب سوى الصلاة، ولذلك دُعيت السيّدة التي ظهرت هناك «سيّدة الصلاة».

فيا سيّدة الصلاة، علّمينا الصلاة، واستجيبي لصلواتنا.

اعترافٌ وصلاةٌ

في ٢٠٠١/١٢/٨، أصدر أسقف مدينة «تور» (TOURS) بيانًا أعلن فيه أنّ رحلات الحجّ إلى جزيرة بوشار، من أجل تكريم العذراء، قد آتت ثمارًا طيّبةً، وشجّع، رسميًّا، مواصلة هذه الرحلات.

وأطلق على سيّدة الظهورات في جزيرة بوشار اسم «**سيّدة الصلاة**» ووضع لها، بهذه المناسبة، الصلاة التالية:

«يا مريم القدّيسة، سيّدة الصلاة.

لقد تقبّلتِ، في الإيمان، رسالة الملاك جبرائيل،

فأصبحتِ أمّ يسوع، ابن الله الوحيد.

فعلّمينا الصلاة، كي نكبر في الإيمان.

في أثناء زيارتك لإليصابات، تدفّق فرحك عبر «تعظيمتك»،

فعلّمينا أن نقدّم لله الشكر.

في قانا، سألتِ يسوع أن يهب خمرة العرس،

فعلّمينا التشفّع من أجل إخوتنا.
عند أقدام الصليب، تألّمتِ، حبًّا بالخطأة،
فعلّمينا استقبال رحمة الآب.
في العنصرة، كنت تصلّين مع التلاميذ، عندما تلقّوا ملء الروح القدس،
فعلّمينا التماس الروح القدس، كي نشهد للإنجيل.
أنت أمّ الكنيسة، وحارسة الأُسر،
فاسهري على كلٍّ من عائلاتنا، وعلّمينا أن نتحابّ بصدقٍ ووفاء.
أنت أمّ البشريّة، وشفيعة وطننا،
فأشرعيه على أبعاد حبّ الله الشاملة،
وعلّمينا الخدمة بسخاءٍ
يا مريم التي حُبلَ بها بلا خطيئةٍ،
صلّي من أجلنا، نحن الملتجئين إليكِ.
ويا سيّدة الصلاة، علّمينا الصلاة».

فهرس

ظهورات سيّدة «پوي» ٧

ظهورات سيّدة الجمرات في«أرّاس» ١١٠٥ ٢١

ظهورات «سيّدة كلّ المعونات» في «كيرّيان» ١٦٥٢ ٣٧

ظهورات «پونمان» ١٨٧١ ٦٣

ظهورات العذراء «في پلّڤوزان» ١٨٧٦ ١٠٥

ظهورات «جزيرة بوشار» ١٩٤٧ ٢٠٧

ظهر في هذه السلسلة للأستاذ الأديب أديب مصلح

١ – ظهورات لورد، ٢٠١١.
٢ – ظهورات فاطمة، ٢٠١١.
٣ – ظهورات الصوفانيّة، ٢٠١١.
٤ – ظهورات مديغوريه، ٢٠١١.
٥ – ظهورات سيّدة لاساليت، وظهورات الإسكوريال، ٢٠١٢.
٦ – ظهورات كيبيهو، وظهورات غوادالوبي، ٢٠١٢.
٧ – ظهورات السيّدة العذراء لكاترين لابوريه، ولألفونس راتسبون، ٢٠١٢.
٨ – ظهورات لوس (فرنسا ١٦٦٤) وظهورات «غيتشڤاود» (پولونيا ١٧٨١)، ٢٠١٢.
٩ – لِمَ تبكي العذراء؟، ٢٠١٢.
١٠ – الأمّ السماويّة تجوب العالم (١)، ٢٠١٢.
١١ – الأمّ السماويّة تجوب العالم (٢)، ٢٠١٣.
١٢ – ظهورات غربَنْدّل وظاهرة سان داميانو، ٢٠١٣.

المطبعة البولسية
جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/٩١٢٥٩٣ – ٠٣/٣٥٧٣٥٣
isppress@inco.com.lb